



آين راند

مقدمة

إيمون باتلر



آين راند

مقدمة

تأليف

إيمون باتلر

ترجمة

حبيب زريق

ميرا جندي

عبد المعين السباعي

حسام شبلي

زينب أحمد

مراجعة

أحمد رضا

هذا الكتاب موجه إلى الشباب -بالسن أو بالروح- الذين لا يخشون المعرفة وليسوا
مستعدين للاستسلام

آين راند، الرأسمالية: المثل الأعلى المجهول

قائمة المحتويات

المؤلف.....	1
شكر وعرفان.....	2
1 مقدمة.....	3
2 أهمية آين راند.....	8
3 حياة راند وكتاباتهما.....	16
4 مختصر لرؤية راند الكونية.....	35
5 راند عن طبيعة الواقع.....	42
6 كيف نفهم العالم.....	48
7 الأخلاق عند راند.....	59
8 السياسة والاقتصاد.....	73
9 راند عن القضايا العامة.....	87
10 طبيعة الفن وأهميته.....	96
11 روايات آين راند.....	105
12 نقاد راند.....	118

13 اقتباسات من راند وعنها.....133

14 قراءات إضافية.....150

المؤلف

إيمون باتلر هو مدير معهد آدم سميث، واحد من أبرز مجامع التفكير السياسية في العالم. إيمون حاصل على درجات في الاقتصاد وعلم النفس، ودكتوراه في الفلسفة، ودكتوراه فخرية في العلوم الإنسانية. في سبعينيات القرن العشرين عمل في واشنطن مع مجلس النواب الأمريكي، ودرّس الفلسفة في جامعة هيلزديل في ميشيغان، قبل أن يعود إلى المملكة المتحدة ويسهم في تأسيس معهد آدم سميث. كان باتلر قد نال وسام الحرية من مؤسسة الحرية في وادي فورج، ووسام الاقتصاد الحر الوطني في المملكة المتحدة، وهو يعمل اليوم أميناً عاماً لجمعية مونت بيليرين.

ألف إيمون كتباً كثيرة، منها مقدمات إلى علماء الاقتصاد الرائدة كآدم سميث وملتون فريدمان وفردريك هايك ولودفيغ فون ميزس. نشر إيمون كذلك كتباً تمهيدية عن الليبرالية الكلاسيكية والخيار العام والماغنا كارتا والمدرسة النمساوية في الاقتصاد، وعن مفكرين ليبراليين عظماء، وهو مؤلف ثروة الأمم المكثف، وأفضل كتاب عن السوق. فاز كتابه أسس المجتمع الحر بجائزة فيشر عام 2014. أسهم باتلر في كتاب أربعون قرناً من ضوابط الأسعار والأجور، وسلسلة من الكتب عن معدل الذكاء. لإيمون إسهامات متكررة في المنشورات المطبوعة والمسموعة ووسائل التواصل الشبكية.

شكر وعرفان

شكري لكارل بارني ويارون بروك لما قدماه لي من تشجيع في هذا المشروع، ولغريغ
سالميري ومايك برلاينر لانتقاداتهما المفيدة جداً لمسودة هذا الكتاب.

عن أي شيء يتحدث هذا الكتاب

هذا الكتاب دليل للقارئ في أفكار الكاتبة والمفكرة الروسية الأمريكية آين راند (1905-82)، الأصلية والمثيرة للجدل، والمعروفة بنظرتها الكونية «الموضوعية» وروايتها/المنبع (1943)، وحينما هز *أطلس كتفيه* (1957).

لم يزل لفكر راند أثر عميق، لا سيما على الذين تعرفوا عليه من رواياتها، ودفعتهم إليه رسائلها الجوهرية عن الفردانية وقيمة النفس وحق المرء في أن يعيش حياته من دون إكراه من أحد. يبدو جوع القراء إلى هذه النظرة غير محدود. يُباع نحو ربع مليون نسخة من *حينما هز أطلس كتفيه* كل عام - وهو أمر لافت في كتاب من 1,200 صفحة، نُشر قبل أكثر من نصف قرن - أما مبيعات *المنبع* فليست أقل منها بكثير. إن شيوع هاتين الروايتين جعل راند أهم داعية إلى الحركة الفردانية. بالعبارة الشهيرة لأحد النشطاء اللبرتاريين، «يبدأ الأمر عادة بآين راند».

كان لهذا أثر كبير على كثير من المشرعين والاستشاريين السياسيين والاقتصاديين حول العالم. وعلى رواد الأعمال والمستثمرين أيضاً، لا سيما الذين يعملون في صناعة المعرفة (كالمؤسس المشارك لويكيبيديا جيمي ويلز والمؤسس المشارك لباييال بيتر ثيل)، إذ ألهمتهم روايتها المتينة عن أخلاق رأسمالية السوق الحرة، وعن دور العقول المبدعة في التقدم الإنساني.

على النطاق الأوسع، تبقى أفكار راند مثيرة للجدل جداً - أو على الأقل غير شائعة. يتجاهل معظم الأكاديميين أفكار راند في الفن والأدب والفلسفة. يجد

التقليديون هجومها على الإيثار والدين صادمًا. أما التقدميون فيزدرون رأيها في التدخل الحكومي، إذ تراه مدمرًا للقيمة والروح والحياة نفسها. يرفض المثقفون المشهورون راند ويصفونها بالمتطرفة المجنونة التي تغذي بأعمالها أبشع الرذائل، من الطمع والانغماس في النفس وقلة المبالاة والقسوة.

ليست هذه الانفعالات مفاجئة. فلقد رفضت راند نفسها بشدة وجذرية معظم مجالات التفكير السائد – عن الطبيعة البشرية والأخلاق والسياسة والاقتصاد والفن والآداب والتعليم، بل والحقيقة نفسها. لكن مواقفها كانت كلها جزءًا من نظرة شاملة متسقة للحياة والكون. نظرة ينبغي أن تؤخذ على محمل الجد، مهما بدت بعيدة عن التفكير السائد، ومهما بدت صادمة.

حتى إذا كنت مختلفًا مع آين راند، فإنها – لا شك – تجعلك تفكر.

ماذا يغطي هذا الكتاب

هذا الكتاب أقصر من خطاب جون غالت في رواية *حينما هز أطلس كتفيه*، الذي كان مؤلفًا من 32,963 كلمة، وضم نظرة راند الكونية كلها. لذا لا بد أن يركز هذا الكتاب على الأساسيات، وأن يتجنب التفاصيل الأكاديمية. يريد هذا الكتاب أن يقدم أفكار راند الرئيسة، وبعض الانتقادات الموجهة لها، بوضوح وبعد عن الكلام الأكاديمي.

يغطي هذا الكتاب أهمية راند، وفهمها للواقع والطبيعة الإنسانية، وأفكارها في المعرفة والأخلاق والسياسة والاقتصاد والحكومة والقضايا العامة والجماليات والآداب، ويضع هذه المواضيع في سياق حياتها وزمانها، ليظهر ثورتها، ويظهر

كيفية تأثيرها على نقاش السياسة العامة، وتشجيعها على نشر رفض الجمعية والمركزية والدولانية.

لمن هذا الكتاب

غطت أعمال راند مواضيع كثيرة بأشكال مختلفة كثيرة جداً، من روايات ومقالات وخطابات ومقابلات وكتب ومسرحيات ونصوص أفلام ومجلات وبودكاستات، إلى درجة أنه يصعب على المرء أن يعرف من أين يبدأ. ينظم هذا الكتاب أفكار راند في دليل قصير منظم.

هذا الكتاب مكتوب للقراء المثقفين المهتمين بالنقاش العام عن السياسة والحكومة والمؤسسات الاجتماعية والرأسمالية والحقوق والحريات والأخلاق. وهو لكل من يريد أن يفهم الجانب المناصر للحرية من النقاش، وأن يفهم أثر راند عليه بكتاباتنا وبشخصيتها الاستثنائية وحركة «الفردانية المتطرفة» التي نشأت حولها.

يسعى هذا الكتاب إلى شرح أفكار راند بلغة سهلة، من دون تشويه. لذا فلن تجد فيه حواشي أو مراجع كالكتب الأكاديمية – لكن ستجد قائمة قراءة لأهم كتبها ومقالاتها، مرتبة على نحو يسهل على القارئ الانتقال فيها.

يمنح الكتاب أيضاً طلاب الثانويات وكليات الاقتصاد والسياسة والأخلاق والفلسفة دليل دراسة مختصراً يشمل مجموعة من الأفكار والآراء الراديكالية التي كثيراً ما يرفضها أو يتجاهلها أساتذة الاتجاه السائد. إن في هذا الكتاب أفكاراً كثيرة لتحدي الأساتذة!

وللكتاب أيضاً أهمية سياسية كبيرة. كانت راند واحدة من أهم الإلهامات خلف صعود المذهب السياسي الفرداني المناصر للحرية في القرن العشرين. إلى اليوم، تؤثر أفكارها في سياسات الدول حول العالم.

راند والمؤلف وهذا الكتاب

لم أكن أعرف راند، لكنني ككثير غيري، وجدتتها عندما كنت شاباً، في رواياتها. وجدت رواية المنبع، منعشة وحماسية وملهمة، وأعجبتني رؤيتها البطولية للإبداع والإنجاز والنزاهة الإنسانية. أما حينما هز *أطلس* كتفيه فكان أثرها فيّ أقل، إذ وجدت حبكتها بعيدة المنال، وشخصياتها كرتونية، ونبرتها خطابية مباشرة، وطولها متعباً. هذا وإنني لم أكن مقتنعاً بيقين راند بطبيعة الواقع وأثره على إظهار حقائق الأفراد والمجتمع والأخلاق. وككثير من غيري في ذلك الوقت، كانت تزعجني الطائفية المحيطة بها، والانشغاقات التي استمرت بعد موتها.

لقد غطى على هذه النزاعات اليوم الاهتمام العالمي المتسارع بأفكار راند، ولقد عدت إلى هذه الأفكار بعقل منفتح ولكن نقدي. لم أزل شاكاً، ولم يتغير رأيي في رواياتها. ولكنني آمل ألا تصبغ آرائي محتويات الكتاب، وأن يكون عرضي لأفكار راند (وبعض ردودي النقدية عليها) منصفاً، وموضوعياً (إذا كان لي أن أتجرأ وأقولها).

كيف نُظّم هذا الكتاب

ليس هذا الكتاب كتاب تاريخ مرتب زمنياً، ولكنه منظم حول أفكار راند الأساسية.

يبدأ الكتاب بسؤال أهمية راند وأهمية قراءة أعمالها. وينظر في أثرها الواسع من خلال رواياتها وتحدياتها التي تحدث بها التفكير السائد. ثم يقدم سيرة مختصرة لحياتها والأحداث التي شكلت أفكارها، وكيف أثرت أفكارها في حياة غيرها من أتباعها وغيرهم. يشمل الكتاب خطأً زمنياً من أحداث حياتها ومنشوراتها.

ثم يعرض الكتاب العناصر الأساسية في نظرة راند للعالم. وينظر نظراً أقرب إلى أفكارها في هذه الأمور: الواقع والمعرفة والأخلاق والسياسة والقضايا العامة والاقتصاد والآداب.

في الفصول الأخيرة، يراجع الكتاب روايات راند، ويقدم دليلاً للقارئ يظهر مواضيعها وحبكاتھا وخصائصھا وأسلوبھا وتعبيرھا عن آراء راند. وينظر في بعض الانتقادات التي وُجِّهت إلى أعمالها، وينتهي بتقييم قصير لأثر راند المستمر، ودليل إلى المزيد من القراءة عنها، وبعض الاقتباسات التي تجمع أفكارها الراديكالية عن الواقع والطبيعة البشرية.

2 أهمية آين راند

أهمية أعمال راند الخيالية

لا بد أن فاتحة كل رسالة تلقاها ناشرو أعمال راند، ناهيك عن المقالات والمدونات المكتوبة عنها يومياً، هي هذه: «لقد غيرت حينما هز *أطلس* كتفيه حياتي».

يكتشف معظم الناس راند من أعمالها الخيالية لا من مقالاتها. لقد نشرت روايات راند أفكارها عن الحياة والسياسة والأخلاق في الثقافة العامة وجعلتها متاحة للعوام الذين قد يصعب عليهم أن يخوضوا في بعض رسائلها الأكاديمية.

يحب الشباب خصوصاً المنبع وحينما هز *أطلس* كتفيه، لأنهما يتحدثان عن همومهم وطموحاتهم بشأن المستقبل. يغذي الكتابان أيضاً ثورية الشباب الطبيعية، ويمنحانهم حججاً يحتاجون إليها لتحدي حكمة التضحية بالنفس والاشتراكية الناعمة التي ينقلها إليهم معلموهم.

طموح التفوق

تغذي الروايتان تقدير النفس عند الشباب – بل وعند كثير من غير الشباب أيضاً. وتقنعان القارئ أنه يستطيع بالفكر والعمل أن يصنع عالماً تكون فيه جهوده ذات قيمة، غير مستغلة ولا مستهانة بها. وتؤكدان على نبالة استعمال المرء لعقله لكي يبلغ أفضل إمكاناته. تجعل الروايتان الإيمان بالنفس أمراً لطيفاً.

أبطال راند فردانيون يعيشون على مواهبهم الإبداعية – لا يعيشون من أجل غيرهم ولا يطلبون أن يعيش غيرهم من أجلهم. ثوار على المنظومة وطرائقها. مخالفون للأنماط الاجتماعية ولكنهم متشبثون برؤيتهم وحقيقتهم: رؤيتهم المبنية على قيمهم وحقيقتهم المبنية على الواقع والعقل، لا على سلطة الآخرين الزائفة. إنهم العقول الإبداعية التي تكتشف المعارف الجديدة وتبتكر وتقود التقدم وتؤدي أفعالها إلى نفع الإنسانية كلها.

لكن العقول لا يمكن إجبارها على التفكير. إن الإبداع، ومن ثم التقدم الإنساني، يعتمد على حرية التفكير والفعل عند الناس، وهي حرية سعيهم إلى قيمهم على أساس الحقيقة، لا على أساس السلطة – هذه فكرة مغرية، لا سيما عند قراء راند الشباب.

نظرة شاملة

مما يجعل راند مؤثرة جداً أيضاً هي أنها تقدم نظاماً – رؤية شاملة لعمل الكون والحياة البشرية. تنظر راند أعمق وأوسع من السياسة والاقتصاد، وتُرجع هذين إلى أصولهما في الثقافة والاجتماع والفلسفة.

تعلم رواياتها أفكار الحرية والقيم والعقل والإبداع والريادة والرأسمالية والإنجاز والبطولية والسعادة وتقدير الذات والكبرياء. وتشرح الآثار القاتلة للإكراه والاستغلال والتقنين والتضحية بالنفس والإيثار والتفكير الحالم ورفض المرء لعقله.

هذا هو بالضبط ما يبحث عنه كثير من الشباب (خصوصاً): نظرة كونية شاملة متسقة، تقدم طريقة لفهم العالم ومجموعة من المبادئ التي تحل كثيراً من ألغازه.

مع الوقت، قد يمر هؤلاء الشباب بوجهات نظر أخرى، وقد يقبلون أن العالم أعقد مما تقول راند. ولكن استمرار راند في التأثير في قرائها علامة على قوة نظامها. إنها تغير حيواتهم إلى الأبد.

انتشار أفكار راند

لا تغير أفكار راند حيوات كما تغير في الولايات المتحدة، موطنها الثاني، حيث تستفيد روايتها من المثل الأمريكية: الفردانية والاعتماد على النفس. في أوائل تسعينيات القرن العشرين، بعد عقد من موتها، جرى استطلاع في مكتبة الكونغرس ونادي الكتاب الشهري، كانت فيه رواية *حينما هز أطلس كتفيه* ثاني الكتب من حيث قوة الأثر بعد الكتاب المقدس. اليوم، تدرّس أفكار راند في جامعات في أرجاء أمريكا، وتناقش في مجلات أكاديمية وعامة. وقد أسست معاهد ومجموعات من أجل دعم أفكارها ونشرها.

تتسارع أفكارها في الدول الأخرى الناطقة بالإنكليزية أيضاً، كالمملكة المتحدة (التي تباع فيها 20,000 نسخة من كتب راند سنوياً)، وكندا، وأستراليا، ونيوزيلندا، وجنوب إفريقيا والهند، حيث يشيع الحديث بالإنكليزية. يقر كثير من لاعبي كرة القدم الهنود ونجوم بوليوود بأثر راند على حيواتهم.

أما في الدول غير الناطقة بالإنكليزية، فتتصدر السويد (وهي دولة تعداد سكانها 9.5 مليون نسمة فقط) البحث في غوغل عن «آين راند»، وقد اشترى السويديون أكثر من 30,000 نسخة من كتبها في العقد الأخير. تُشترى كل عام نحو 25,000 نسخة في موطن راند الأصلي، روسيا. وتباع 13,000 نسخة في البرازيل سنوياً، و6,000 في إسبانيا، و1,000 في كل من اليابان وبلغاريا. حتى في الصين، يُباع نحو 15,000 كتاباً لراند كل عام – وهو رقم لن يزيد إلا صعوداً، بالنظر إلى اليقظة الاقتصادية والثقافية في ذلك البلد.

أثرها على السياسة

كل هذا يعطي راند أثراً مهماً في النقاش السياسي. في الولايات المتحدة، وصل كثير من الذين ألهمتهم راند إلى مناصب عامة. كان الأمين العام السابق للاحتياطي الفدرالي آلان غرينسبان عضواً مبكراً في دائرة المقربين من راند. يعرض القاضي في المحكمة العليا كلارنس توماس كتبه الجدد فلم رواية/المنبع. يذكر بعض السياسيين مثل النائب السابق رون بول، وابنه السيناتور راند بول، ورئيس الكونغرس بول ريان، يذكرون راند في عداد المفكرين الذين أثروا فيهم. حتى الرئيس رونالد ريغان وصف نفسه بأنه «معجب بآين راند».

وليست هذه الظاهرة مقتصرة على الولايات المتحدة. فهذه آني لوف، قائدة حزب الوسط السويدي ووزيرة العمل السابقة، ساعدت في إطلاق الترجمة السويدية لرواية/المنبع، ووصفت راند بأنها «واحدة من أعظم المفكرين في القرن العشرين». مدح رئيس وزراء إستونيا الإصلاحي مارت لار أفكار راند، التي أثرت كذلك في رئيس

وزراء أستراليا مالكولم فريزر، وكثير غيره من القادة السياسيين المعاصرين والسابقين.

أهمية فكر راند

بالإضافة إلى رواياتها ومسرحياتها، كتبت راند كتباً غير خيالية، في موضوع الفلسفة - دراسة الواقع والوجود، وكيف نعلم العالم ونفهمه، وما الذي يقتضيه هذا في مجالي الأخلاق والسياسة.

الواقع ومقتضياته

إن مقارنة راند مثيرة للاهتمام لأسباب كثيرة، ليس أقلها أنها ترى أن الواقع والمعرفة والطبيعة البشرية والأخلاق والسياسة والاقتصاد وحتى الفن، كلها مجالات متصلة اتصالاً وثيقاً. وإن كان الفلاسفة الآخرون يركزون على عنصر واحد، فإن راند ترى كل هذه المجالات أجزاءً من نظام عام.

سمت راند هذا النظام /الموضوعية. تبدأ الموضوعية بفكرة وجود الواقع الخارجي، الذي سيبقى موجوداً حتى من دون وجودنا. يمكننا أن نفهم الطبيعة وعملها في العالم، لكن هذا ممتنع إن لم نفكر بموضوعية. يعني التفكير بموضوعية أن نبدأ من الحقائق الأساسية لإدراكاتنا وأن نستعمل العقل لفهمها ونبني نظرة كونية عليها.

إذا كنا نعرف كيف يعمل الكون، فإن في إمكاننا في رأي راند أن نعرف كيف نتصرف فيه ونزدهر. يمنحنا هذا طريقة جديدة لتحديد الصواب والخطأ أخلاقياً، والممكن والممتنع سياسياً – لا على الأساس التقليدي، الذي هو الدين أو العاطفة أو السلطة، بل على أساس العقل/الموضوعي.

الواقع والأخلاق

هذه الدعوى لافتة للنظر، ويمكن للمرء أن يفهم سبب توجيه الانتقادات لها إذا عرف الطبيعة المثيرة للجدل للمبادئ الأخلاقية والمؤسسات السياسية التي ترى راند أن هذه العملية تقتضيها. في السياسة، ترى راند أن العقل يقول بالحرية والرأسمالية، أما النظام الأخلاقي الذي يقول بها عقلنا فليس الإيثار ولا التضحية بالنفس – كما يعلم كثير من الأخلاقيين – بل المصلحة الذاتية العقلانية.

تقول راند إن هذه المبادئ هي التي تقودنا إلى الحياة والازدهار وتحقيق قيمنا وسعادتنا. أما أخلاق الإيثار والتضحية بالنفس التقليدية، فضررها كبير، إذ تدم النجاح وتستغله، وتكافئ الإخفاق والعجز – تذكرة ذهاب فقط، إلى التخلف والنزاع والدمار، في رأيها. لعل أن فهم راند لهذه المشكلات أفضل من معظم الناس، لما عاشته في روسيا تحت حكم الاتحاد السوفييتي.

سواء أقبلت أم لم تقبل أن الأخلاق يمكن أن تبني بموضوعية على الحقائق، فإن مقارنة راند تبقى نقداً مهماً للأفكار السياسية والأخلاقية الشائعة، كالماركسية والدين. ترى راند أن العقل والمعرفة هما اللذان ينشئان القيمة – خلافاً لماركس، الذي يرى أن العمل الجسمي هو منشئ القيمة. وترى أن الإيمان الديني لا يستطيع أن

يحرك الجبال، ولا أن ينمي طعاماً أو يشفي مريضاً. يحتاج هذا إلى التكنولوجيا، التي تحتاج بدورها إلى عقول مبدعة.

دفاع جديد عن الحرية

ولكن العقول المبدعة لا تعمل إلا إذا كانت حرة، حرة في تعاملها مع العالم وفي تفكيرها وتعلمها وتعبيرها عن هويتها وخدمتها لحاجاتها وقيمها. هذه العملية لا تكون بالإكراه. الحرية عند راند شيء لا بد منه لبقاء الإنسان وتقدمه.

هذا دفاع جديد وقوي عن الحرية، دفاع مبني على ما تراه راند فهماً موضوعياً لجنسنا البشري وعالمنا، لا على آراء شخصية ذاتية أو أعراف اجتماعية.

يجب، في رأي راند، أن تقوم ترتيباتنا السياسية والاقتصادية كذلك على أساس الحرية. إن النظام الاقتصادي الوحيد القابل للحرية الكاملة هو رأسمالية الحرية الاقتصادية، التي تعتمد على وجود الملكية الخاصة وحكم القانون الذي يستطيع فيه الناس أن يتاجروا فيما بينهم دون إكراه. ليس دور الدولة إلا أن تضمن أن يتبع الجميع هذه القواعد، وأن تكبت العنف، ولا يمكن تسويغ أي عمل آخر لها.

نقاد وأتباع

إن ثقة راند بقدرتنا على معرفة العالم الخارجي محل جدل بين الفلاسفة. يرى كثير من الشكاكين أن تجاربنا قد تكون مجرد حلم أو وهم أو تحريف للواقع. يشك نقاد

آخرون بقدرتنا على معرفة الواقع معرفة موثوقة يمكن الاعتماد عليها في أفعالنا الأخلاقية والسياسية.

إن فكرة راند الأخلاقية، وهي رفض الإيثار وتقدير الأشياء بحسب المصلحة الذاتية فكرة مُفسدة في رأي النقاد. تتجاهل هذه الفكرة الخطوط المهمة –وإن كانت دقيقة– الفاصلة بين تقدير النفس والخداع، وبين المصلحة الذاتية والطمع، وبين النزاهة والترف. إنها مخالفة للطبيعة، لأننا جنس اجتماعي نهتم بطبيعتنا بالآخرين، حتى الغرباء. هل يمكن أن تكون كل أديان العالم مخطئة في تعزيزها للإيثار؟ ناهيك طبعاً عن أن استنتاجات راند السياسية –الحرية والملكية الخاصة والدولة الأقلية– قليلة الشيوع بين الأكاديميين.

لكن المعارضة الأكاديمية لا تعني أن أفكار راند يمكن رفضها. بل العكس، تستحق أفكار راند الأخذ على محمل الجد – أقل سبب هو أنها استطاعت أن تجذب أتباعاً لها من شتى مجالات الحياة وطرقها.

طفولة مضطربة في روسيا

ولدت آين راند باسم أليسا زينوفيفنا روزنباوم عام 1905، وكانت البكر من بين ثلاث بنات لعائلة يهودية روسية من الطبقة المتوسطة تسكن في سان بطرسبرغ. قبل بلوغها سن التاسعة، قررت أن تصبح كاتبة – إذ ألهمتها قصة الجندي البريطاني البطل سايروس بالتونس في إحدى مجلات الأطفال. وفي وقت لاحق، بعد أن اصطحبتها والدتها إلى دار السينما، أصبحت تميل إلى كتابة سيناريوهات الأفلام.

ولكن في عام 1917، حين كانت في الثانية عشر من عمرها وحسب، أصبحت بتروغراد (الاسم الذي أطلق على مدينة سان بطرسبرغ حينها) مركزاً لثورتي فبراير وأكتوبر. وحين سيطر عليها البلاشفة في نهاية المطاف، صادروا صيدلية والدها ومنزل عائلتها.

هرباً من الصراعات والظروف القاسية في المدينة –التي صورتها راند بشكل مروع في روايتها التي تعتبر سيرة ذاتيةً إلى حد ما نحن/الأحياء (1936)– انتقلت العائلة إلى شبه جزيرة القرم. بدأ والدها عملاً تجارياً جديداً في مجال الصيدلة، ولكنه أمم مرةً أخرى بعد وصول الجيش الأحمر، ولذلك عادت العائلة إلى بتروغراد بعد أن أكملت أليسا دراستها الثانوية عام 1921.

كانت أليسا إحدى أولى النساء اللاتي التحقن بالجامعة الحكومية، وما أثار حماسها تحديداً هو التاريخ والسياسة الأمريكيان، بالإضافة إلى المسرحيات والموسيقى والسينما الغربية. وبالإضافة إلى الروائيين فيودور دوستويفسكي

وفيككتور هوغو اللذين قرأت لهما حين كانت في شبه جزيرة القرم، وجدت آين مفكرين آخرين كان لهم أثر على حياتها المهنية اللاحقة، من بينهم الفيلسوف الإغريقي أرسطو.

ولكن (مجددًا كما هو الحال بالنسبة لبطلة نحن الأحياء التي تدعى كيرا) أثار قمع الشيوعيين حرية التفكير والتعبير جزعها. إلى جانب بعض الطلاب «البرجوازيين» الآخرين، طردت من الجامعة، ولكنها تخرجت في نهاية المطاف في عام 1924 بعد احتجاج الأكاديميين الأجانب.

خلال تلك الأوقات العصيبة، انغمست أكثر فأكثر في قراءة المسرحيات وحضور التمثيليات الموسيقية والأفلام. ولأنها عقدت عزمها على أن تصبح كاتبة سيناريو، التحقت بالمعهد السينمائي الحكومي في لينينغراد (كما أسماها السوفييت)، وجعلت من آين راند اسمًا مهنيًا لها. أدركت أن لا مستقبل لها في روسيا الشيوعية الخانقة، وتاقت إلى أن تكون جزءًا من ثقافة الممكن التي تصورها الأفلام الأمريكية. حصلت راند على تأشيرة لزيارة أقارب لها في شيكاغو، وساعدها والدها في دفع النفقات، إلا أنها لم تعتزم العودة.

حياة مهنية جديدة في أمريكا

بعد أن هبطت طائرتها في نيويورك عام 1926، انبهرت راند بأفق المدينة المذهل (والبطولي بالنسبة لها) في فصل الشتاء. تابعت رحلتها إلى شيكاغو حيث امتلك أحد أقاربها دار سينما، فسنحت لها الفرصة لتنغمس في شغفها بالأفلام. مددت

تأشيرتها واقتضت 100 دولار أمريكي، وحصلت على خطاب توصية من موزع أفلام صديق لأقاربها، ثم توجهت إلى كاليفورنيا.

في يومها الثاني في هوليوود، أسفر لقاءها مصادفةً مع المنتج السينمائي الرائد سيسيل بي. ديميل -الذي رآها تحقق به وهو يغادر الاستوديوهات- عن حصولها على وظيفة بصفتها ممثلةً ثانويةً في الفيلم الديني كينغ أوف كينغز (ملك الملوك). وبعد مرور أسبوعين، التقت بالممثل الشاب فرانك أوكونور، الذي تزوجته عام 1929، تمامًا قبل أن تنتهي مدة تأشيرتها، وبذلك أصبحت مواطنةً أمريكيةً عام 1931.

عملت راند في مراجعة النصوص لدى ديميل، ثم عملت في قسم الملابس في شركة آر. كاي. أوه. بيكتشرز، وحاولت في ذلك الوقت أن تطور مهارتها في الكتابة. في عام 1932، باعت سيناريوها الأول المسمى ريد باون (العهد الأحمر) إلى أستوديوهات يونيفيرسال، وكان عبارةً عن دراما جاسوسية تدور أحداثها في جزيرة روسية للسجناء. أنتجت مسرحيتها الدرامية التي تدور أحداثها حول محاكمة ليلى السادسة عشر من يناير (التي يلعب فيها الجمهور دور هيئة المحلفين) في هوليوود عام 1934 وفي برودواي عام 1935. كانت في طريقها لأن تصبح كاتبةً ناجحةً. انتقلت برفقة فرانك إلى نيويورك في أواخر عام 1934 لكي تعزز مسيرتها المهنية مترقبةً رحلتها في برودواي.

أنهت روايتها نحن الأحياء في عام 1934، ولكن تصويرها للواقع الوحشي للحياة في ظل الاتحاد السوفييتي تعارض مع حالة «العقد الأحمر» الذي هم خلاله المفكرون الغربيون بالإشادة بالشيوعية لرؤيتها الجريئة. وبالإضافة إلى ذلك، لم

يتلاءم المفهوم الروسي حول «الرواية الفلسفية» مع الثقافة الأمريكية. نشر الكتاب أخيراً في عام 1936، وحصد مراجعات مخيبة للآمال، على الرغم من أنه حقق نجاحاً أفضل خارج الولايات المتحدة (إذ حول إلى فيلمين في إيطاليا بدون علم راند). ولهذه الأسباب نفسها، كان الناشر الإنجليزي الذي تعمل معه أول من أصدر كتابها التالي نشيد عام 1938، وهو عبارة عن رواية قصيرة تدور أحداثها في مستقبل دستوبي تختفي فيه فكرة الفردية.

روايتها الناجحة

على الرغم مما حدث، تلقت راند تشجيعاً كبيراً من إيزابيل باترسون، كاتبة العمود الأدبي المؤثرة في نيويورك هيرالد تريبيون والمفكرة الليبرالية البارزة، التي تبادلت معها الأفكار، وأكدت على أصالة راند.

صدرت روايتها الناجحة /المنبع في عام 1943، وحصدت تفاعلات متباينة. سخر النقاد من كونها تحوي 700 صفحة، أو اعتبروا شخصياتها بمثابة أبواق بغیضة لرأي المؤلفة. ولكن بسبب نصح القراء لبعضهم بقراءتها، حققت /المنبع نجاحاً أدبياً باهراً، واحتلت المرتبة السادسة في قائمة نيويورك تايمز للكتب الأكثر مبيعاً بحلول عام 1945.

وكما هو الحال بالنسبة لروايتها نحن /الأحياء، كان موضوعها الفردية مقابل الجماعية – ولكن هذه المرة فيما يخص مجال الإبداع وليس السياسة. إنها رواية غرامية فلسفية تدور أحداثها حول هاورد رورك المهندس المعماري المبدئي والعنيد

والحالم –أول تجسيد لرجل راند المثالي- والبطلة دومينيك فرانكون التي تشاركه قيمه، ولكنها تنأى بنفسها عما تراه عالماً عادياً جديراً بالازدراء.

اشتهرت راند لكونها بطلة الفردية بفضل روايتها //المنبع. كان الممثل الرائد غاري كوبر من بين الأشخاص الذين قرأوا الرواية وأعجبوا بها، فعرض على شركة وارنر برذرز خدماته للعب دور رورك في النسخة السينمائية. وافقت راند على العودة من نيويورك إلى هوليوود لكتابة السيناريو، ولكنها اشترطت ألا يغير الأستوديو كلمةً فيه – وهو ما احترمه الأستديو على الرغم من الخلافات.

حين صدر الفيلم في عام 1949، رأى النقاد مرةً أخرى أن الشخصيات مجرد أبواق فلسفية، ولا تشبه البشر الحقيقيين. لم يحظ الفيلم بنجاح تجاري، ولكنه اجتذب عدداً كبيراً من المشاهدين، الأمر الذي أدى إلى زيادة مبيعات الكتاب وزيادة ثروة راند إلى حد كبير – تمكنت برفقة فرانك من شراء منزل مزرعة كبير (وعصري مناسب) في كاليفورنيا.

حينما هز أطلس كتفيه

عارضت راند التعاطف مع الشيوعية في هوليوود إلى حد كبير، وأوضحت في دليل السينما للأمريكيين كيف يستطيع منتجو الأفلام اكتشاف الدعاية الشيوعية ومقاومتها في نصوصهم. في عام 1947 ظهرت باعتبارها شاهدةً وديةً أمام لجنة مجلس النواب المعنية بالأنشطة غير الأمريكية. وبسبب هذه الأمور، تعمق عداء المثقفين اليساريين لها، الذين سيطروا حينها على السينما والأدب والنقد.

ولكن في تلك الفترة، كانت تعمل مسبقاً على روايتها الجديدة حينما هز *أطلس* كتفيه. وبهدف إكمالها، عادت إلى نيويورك حيث تجمعت حولها مجموعة من المعجبين – الذين أطلقوا على أنفسهم، لسخرية القدر، اسم «الجماعة».

نشرت روايتها حينما هز *أطلس* كتفيه المؤلفة من 1,200 صفحة في عام 1957. كانت موضوعاتها، بحسب راند، متمثلةً في «دور العقل في الوجود الإنساني» وأخلاقيها الجديدة المتمثلة في المصلحة الذاتية العقلانية. إنها تصور اقتصاداً متداعياً يرفض في ظله المبدعين استغلالهم على يد الآخرين، لذا ينسحبون لتأسيس مجتمعهم الخاص المبني على *الأناانية* – رفض العيش من أجل الآخرين أو توقع أن يعيش الآخرون من أجلك. وتتماماً كما هو الحال مع *المنبع*، تضمنت الحبكة علاقةً غراميةً بين مديرة السكك الحديدية المقتدرة داغني تاغارت والعامل المبتكر في الصناعات الفولاذية هانك ريردين – ومن ثم يضاف إليهما العقل المدبر وراء الإضراب، جون غالت.

استهزأ النقاد بالأسلوب الجدلي للرواية، بالإضافة إلى سياستها وطولها. ولكن وجد ملايين القراء الكتاب وقصته وشخصياته مقنعين – ومازالوا حتى يومنا هذا. سرعان ما وصلت الرواية إلى المركز الثالث في قائمة نيويورك تايمز للكتب الأكثر مبيعاً، وأصبحت واحدةً من أكثر الكتب تأثيراً في العالم. وفي يومنا هذا، ماتزال عشرات الآلاف من النسخ تباع سنوياً.

الحركة الموضوعية وسخطها

تلقت راند دعوات لإلقاء محاضرات في الكليات والمجموعات الأخرى بفضل شهرتها، بالإضافة إلى دعوات للظهور في البرامج الحوارية التلفزيونية - التي جذبت فيها من خلال أسلوبها المباشر وشغفها الواضح بأرائها غير التقليدية مزيداً من الجمهور.

منذ عام 1962، أسست دورية *نا/أوبجيكثف نيوزليتر* وكتبت فيها، ثم حولتها إلى مجلة أكبر تحت اسم *نا/أوبجيكثفست*، لتصبح في عام 1971 *نا/آين راند ليتر*. جمعت العديد من مقالاتها في هذه المجلات في سلسلة من الكتب الواقعية، بما في ذلك *فضيلة الأثرة* (1964) حول الأخلاق؛ *والرأسمالية: المثل الأعلى المجهول* (1966) حول الاقتصاد والسياسة؛ *والبيان الرومانسي* (1969) حول الأدب والفن؛ ومقدمة *في الأبستمولوجيا الموضوعية* (1979) حول كيفية تشكيل المفاهيم.

كان نايتان بلومنتال أحد أول أتباع راند الذي سعى إلى لقائها في مراهقته. وقد غير اسمه إلى نثانيال براندن وعمل جنباً إلى جنب مع راند في مجال القضايا الفلسفية وعلم النفس، وشاركها في إدارة نشرتها الإعلامية، وطور بمساعدتها شبكة متابعيها. أنشأ بعد موافقتها مؤسسة ناثانيال براندن، واتخذ من الترويج لأفكارها ومناقشتها نشاطاً تجارياً. أصبحت راند متحدثة شهيرة ومؤثرة في الفعاليات التي أقامتها المؤسسة بالإضافة إلى حرم الجامعات.

أعجبت راند بذكاء براندن واندفاعه. وفي عام 1954، أدركا أنهما يكتان مشاعر رومانسية لبعضهما (على الرغم من أنه كان أصغر منها بكثير ومتزوج منذ فترة قصيرة). فوجئ براندن بأنها استطاعت إقناع زوجها وزوجته بعلاقتها الغرامية؛ وأصبحا يلتقيان بانتظام في شقة راند.

في عام 1968، اكتشفت راند أن براندن على علاقة غرامية مع امرأة أخرى، في الوقت الذي بردت فيه مشاعرهما الرومانسية تجاه بعضهما بعضاً. انفصلا بشكل مدهش، إذ انتهت فجأةً روابطهما الشخصية والمهنية. وفي مقال مطول في *نا أوبجيكْتفست*، اتهمت راند براندن باستغلال ثقتها والاستفادة من اسمها وعدم الوفاء بوعوده وإبعادها عن مبادئها. ردًا على ذلك، انتقد براندن أتباعها لأنهم ينظرون إلى راند الساحرة وكأنها معصومة عن الخطأ ولأنهم يحكمون على الناس بسبب ولائهم لها.

أبعدت راند براندن من حياتها وعملها تمامًا، وتجاهلته الحركة التي ساعد في تشكيلها حولها أيضًا – ما عزز الفكرة التي تقول بوجود جماعة «مهووسة براند». نمت هذه العداوات إلى انقسامات عميقة ماتزال أصداءها مسموعةً على صعيد الحركة الموضوعية.

سنواتها الأخيرة

واصلت راند محاضراتها أمام الطلاب، وكان لديها العديد من المواقف المثيرة للجدل حول كثير من القضايا، بما في ذلك التعليم، والاحتجاجات الطلابية، والإجهاض، وحرب فيتنام، والتجنيد الإلزامي، والحرب العربية الإسرائيلية، وقوانين مكافحة الاحتكار وغيرها الكثير.

ولكن في سبعينيات القرن العشرين، انشغلت راند عن عملها بسبب أمور شخصية عديدة. وعلى الرغم من عدم قدرتها على التواصل مع عائلتها الروسية لفترة طويلة بسبب الستار الحديدي، تمكنت أخيرًا من الاتصال بشقيقتها نورا التي زارتها

في نيويورك، ولكن لم تتسبب هذه الزيارة إلا بالألم للأسف. خلق الوقت والأحداث مسافات لا يمكن تجاوزها بينهما، فعادت نورا إلى الاتحاد السوفيتي بعد إقامة قصيرة وحسب.

بعد فترة وجيزة، خضعت راند -التي كانت مدخنة طيلة حياتها- لعملية جراحية لسرطان الرئة، في حين كانت حالة زوجها فرانك الصحية متدهورة أيضاً. توقفت راند عن الكتابة في نشرتها الإعلامية، وقللت من ظهورها العلني.

قالت راند «لقد خسرت أعظم ما أملك»، حين توفي فرانك في عام 1979. على الرغم من أنها تحمست للعمل على سيناريو لمسلسل تلفزيوني قصير مبني على أحداث *حينما هز أطلس كتفيه*، توفيت قبل أن تتمكن من إكماله. في عام 1982، في أثناء عودتها من حدث ألفت فيه خطاباً في نيو أورلينز -أرسل المنظم لها قطاراً خاصاً لإرضائها ملمحاً إلى أحداث *حينما هز أطلس كتفيه* - مرضت وتوفيت بعد فترة وجيزة في شقتها في نيويورك. وضع على نعشها علامة دولار عملاقة - الرمز الذي اختارته للتعبير عن «الدولة الحرة - في الإنجاز والنجاح والقدرة والقوة الإبداعية للإنسان».

تأثيرها المستمر

بعد وفاتها، أسس زميلها المقرب العقلاني (والمنفذ القانوني لوصيتها ووريثها)، ليونارد بيكوف، مؤسسة آين راند للترويج لأفكارها. كانت الاختلافات حول الموضوعية ومدى ارتباطها بآراء راند السبب في تأسيس طالب بيكوف وشريكه ديفيد كيلى لهيئة منافسة، أسماها مؤسسة الدراسات الموضوعية (وسميت فيما بعد مركز الموضوعية، ولاحقاً جمعية أطلس).

وفي يومنا هذا، تأسست مجموعات موضوعية في أربع قارات مختلفة، في الوقت الذي تمول فيه مؤسسة ترنيمه للمنح الموضوعية التي تأسست عام 2001 العديد من الأساتذة في كثير من الكليات الأمريكية.

وبفضل هذا الجهات وغيرها، تحصل فلسفة راند في يومنا هذا على تقييم نقدي جاد في المجلات والكتب الأكاديمية.

وفي تلك الفترة، نشر المزيد من أعمال راند، بما في ذلك كتب تتناول مراسلاتها ومذكراتها ومقالاتها ومقابلاتها وخطاباتها. أعيد إنتاج الأفلام الإيطالية تحت اسم نحن الأحياء؛ ومثلت مسرحية مثالي؛ وحولت روايتها ترنيمه إلى مسرحية؛ ونشرت العديد من السيناريوهات والقصص القصيرة، حتى أن بوليوود أنتجت نسخة من مسرحيتها ليلة السادس عشر من يناير.

بالإضافة إلى ذلك، نشرت سير ذاتية ومذكرات خاصة، من بينها كتاب ناثانيال براندن، وآخر لزوجته باربرا حول إلى فيلم تلفزيوني، فضلاً عن الفيلم الذي ترشح لنيل جائزة الأوسكار آين راند: أي سينس أوف لايف (آين راند: إحساس بالحياة).

وفي يومنا هذا، تعد راند جزءاً مهماً (بل وحتى جدلياً) من الثقافة الشعبية. ظهرت صورتها على طابع بريدي أمريكي في عام 1999. وصلت روايتها حينما هنز أطلس كتفيه إلى المركز الأول في قائمة الروايات الأكثر مبيعاً على موقع أمازون بعد الانهيار عام 2008، وسط مخاوف من انهيار اقتصادي شبيه بذلك الذي تصوره الرواية. من الواضح أن الناس مايزالون يلجؤون إلى راند للحصول على الإجابات ولكي يستمدوا منها القوة.

التسلسل الزمني لحياة راند وأعمالها

- 1905 ولدت أليسا زينوفيفنا روزنباوم في سان بطرسبرغ في روسيا
- 1914 تعتزم أن تصبح كاتبة
- 1917 اقتحام قصر الشتاء في بتروغراد (سان بطرسبرغ سابقاً) وبداية الثورة الشيوعية
- 1918 تنتقل برفقة عائلتها إلى شبه جزيرة القرم هرباً من الحرب الأهلية
- 1921 تعود برفقة عائلتها إلى بتروغراد؛ وتلتحق بجامعة بتروغراد الحكومية
- 1924 تلتحق بالمعهد السينمائي الحكومي؛ وتجعل من آين راند اسماً مهنيًا لها
- 1925 صدر أول منشور لها، وهو عبارة عن دراسة أحادية حول الممثلة الفاتنة بولا نيغري
- 1925 حصلت على تأشيرة لزيارة أقاربها في الولايات المتحدة
- 1926 تصل إلى نيويورك وتبقى مع أقاربها في شيكاغو لمدة ستة أشهر ثم تتجه إلى هوليوود حيث تحصل على وظيفة كممثلة ثانوية لدى سيسيل بي. ديميل
- 1927 يوظفها ديميل ككاتبة سيناريو مبتدئة
- 1929 تتزوج من الممثل فرانك أوكونور؛ وتحصل على إقامة في الولايات المتحدة

1931	تصبح مواطنةً أمريكيةً
1932	تبيع أول سيناريو لها ريد باون (العهد الأحمر)، الذي تدور أحداثه حول قصة مثيرة جاسوسية، إلى أستوديوهات يونيفرسال مقابل 1,500 دولار أمريكي، إلا أنهم لم ينتجوه
1934	تكتب روايتها القصيرة مثالي ولكنها لا تنشر حتى عام 2015
1934	تنتج أول مسرحياتها في هوليوود، امرأة تحت المحاكمة، التي تدور أحداثها حول محاكمة درامية
1934	تعرض امرأة تحت المحاكمة في برودواي، مثل مسرحيتها اليلة السادس عشر من يناير، لمدة سبعة أشهر
1935	تبدأ عملها على رواية جديدة تحت اسم المنبع
1936	تنشر روايتها التي تعد سيرةً ذاتيةً إلى حد ما وتدور أحداثها في روسيا السوفيتية تحت عنوان نحن الأحياء
1936	تحول روايتها مثالي لتصبح مسرحيةً ولكنها لا تنتج حتى عام 1989
1938	تنشر روايتها القصيرة نشيد في المملكة المتحدة بعد أن فشلت في العثور على ناشر أمريكي متعاطف معها
1939	تكتب مسرحيتها فكر مرتين التي تدور أحداثها حول لغز جريمة قتل فلسفي، ولكنها لم تنتج طيلة فترة حياتها
1940	تصبح متطوعةً في الحملة الرئاسية لويندل ويلكي (الجمهوري)

- 1940 تنتج مسرحيتها *الذين لا يقهرون* المبنية على أحداث روايتها *نحن الأحياء* في برودواي، ولكنها لا تحقق أي نجاح
- 1941 تنتج شركة باراماونت فيلمًا مستوحى من مسرحيتها *ليلة السادس عشر من يناير*
- 1942 تتحول روايتها *نحن الأحياء* إلى الفيلم *الإيطاليين نوي فيفي* (*نعيش*) و*أديو، كيرا* (*وداعًا، كيرا*)
- 1943 تنشر روايتها *المنبع*
- 1943 تباع حقوق فيلم *المنبع* إلى شركة وارنر برذرز
- 1943 يوظفها المنتج هال ويليس للعمل ككاتبة سيناريو ومحررة نصوص
- 1944 تنشر مقالاتها التجريبية «*الطريق الوحيد إلى الغد*» لكتابها الذي لم تكمله أبدًا *الأساس الأخلاقي للفردانية*
- 1945 تصل روايتها *المنبع* إلى المرتبة السادسة على قائمة *نيويورك تايمز* للكتب الأكثر مبيعًا بعد سنتين من نشرها
- 1945 يحصد فيلم *رسائل حب* الذي استوحته راند من رواية كريستيفور ماسي مراجعات سيئة ولكنه يحقق نجاحًا على شباك التذاكر
- 1945 صدر فيلم *يوكيم ألونغ* (*جئت على طول*) الرومانسي الكوميدي الذي أعادت راند كتابة السيناريو خاصته وحصد مراجعات إيجابية على نطاق واسع

- 1946 نشرت النسخة المنقحة من روايتها نشيد أخيراً في الولايات المتحدة
- 1947 بدأت بكتابة مسودة روايتها حينما هز *أطلس* كتفيه
- 1947 ظهرت بصفتها «شاهدةً وديةً» أمام لجنة مجلس النواب المعنية بالأنشطة غير الأمريكية
- 1949 صدر الفيلم المستوحى من روايتها *المنبع* من بطولة غاري كوبر بعد كثير من التأخيرات
- 1950 تلتقي بمعجبها نايتان بلومنتال (الذي أطلق على نفسه لاحقاً اسم ناثانيال براندن)، الذي أصبح مروجاً وشريكاً لها
- 1951 تعود إلى نيويورك حيث تتشكل مجموعة مناقشة حولها تدعى، بما يثير السخرية، باسم «الجماعة»
- 1954 تبدأ علاقتها الغرامية مع ناثانيال براندن
- 1957 تنشر روايتها حينما هز *أطلس* كتفيه وتصل إلى المرتبة الثالثة على قائمة نيويورك تايمز للكتب الأكثر مبيعاً
- 1958 يؤسس براندن مؤسسة محاضرات ناثانيال براندن، التي يغير اسمها لاحقاً ليصبح مؤسسة ناثانيال براندن (إن. بي. آي.)
- 1959 تنشر النسخة المنقحة من روايتها *نحن الأحياء*
- 1960-1970 تذهب في جولة لإلقاء محاضرات حول الموضوعية
- 1961 تنشر من أجل الفكر الجديد

- 1962 تنشر *نا أوبجكتفست نيوزليتر*
- 1962 ينشر ناثانيال وباربرا براندن كتاب *من هي آين راند؟ الذي يتحدث عن حياة راند وأخلاقياتها وسيكولوجيتها وأعمالها الخيالية*
- 1963 تحصل على شهادة فخرية من كلية لويس وكلارك
- 1964 تعلن تأييدها للمرشح الرئاسي الجمهوري المتفائل باري غولدووتر
- 1964 تنشر *فضيلة الأثرة*
- 1966 تنشر *الرأسمالية: المثل المجهول*
- 1966 توسع نطاق *نا أوبجكتفست نيوزليتر* وتسميها *نا أوبجكتفست*
- 1966-1967 تنشر *نا أوبجكتفست* أطروحة راند الفلسفية الرئيسية مقدمة *في الأبستمولوجيا الموضوعية في حلقات*
- 1967 تظهر في البرنامج التلفزيوني الأمريكي *نا تونايت شو*
- 1968 تنتهي علاقتها ببراندن وبمؤسسة ناثانيال براندن فجأة؛ وتنتقد أفعاله *مطولاً في نا أوبجكتفست*
- 1969 ينشر *البيان الرومانسي* الذي يضم آراء راند حول الفن والأدب
- 1971 ينشر *اليسار الجديد: الثورة المناهضة للصناعة*
- 1974 تخضع لعملية جراحية لسرطان الرئة بعد سنوات من التدخين بكثرة
- 1976 تقر بأن محاضرات ليونارد بايكوف حول الموضوعية أفضل تجسيد *لفلسفتها*

- 1976 تتوقف عن الكتابة في *نا أوبجكتفست*
- 1979 يتوفى زوجها فرانك أوكونور
- 1979 ينشر مقدمة في *الأبستمولوجيا الموضوعية* مرة أخرى ليضم مقالاً إضافياً كتبه ليونارد بايكوف عام 1967
- 1982 ينشر *الفلسفة: من يحتاجها*
- 1982 تقول إن كتاب بايكوف *المتوازيات المشؤومة* «أول كتاب لفيلسوف موضوعي غيري»
- 1982 تتوفى جراء سكتة قلبية في شقتها في نيويورك؛ وتوضع علامة دولار كبيرة ومزينة بالأزهار على قبرها
- 1984 ينشر دوغلاس دين أويل ودوغلاس راموسين تقييماً نقدياً أكاديمياً تحت عنوان *الفكر الفلسفي لآين راند*
- 1985 يؤسس ليونارد بايكوف وإيد سنيدر مؤسسة آين راند
- 1986 تصدر النسخة المنقحة من الأفلام الإيطالية تحت عنوان *وي آر نا ليفينغ (نحن الأحياء)*
- 1986 ينشر كتاب باربرا براندن *شغف آين راند الذي يركز على حياة راند الشخصية*
- 1987 يصبح العضو السابق في «الجماعة» آلان غرينسبان رئيساً لبنك الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي

- 1987 تأسست جمعية آين راند التي تضم مجموعةً احترافيةً من الباحثين في الجمعية الأمريكية للفلسفة
- 1989 تنتج مسرحية راند مثالي لأول مرة
- 1989 تنشر النسخة البوليوودية من *ليلة السادس عشر من يناير* تحت اسم *ياواهي [الدليل]*
- 1989 ينشر ناثانيال براندن *يوم القيامة: سنواتي برفقة آين راند*
- 1990 يؤسس ديفيد كيلى مؤسسة الدراسات الموضوعية (التي تسمى لاحقاً باسم المركز الموضوعي، ثم جمعية أطلس)
- 1991 تشير دراسة استقصائية لمكتبة الكونغرس إلى أن *حينما هز أطلس* كتفيه هو ثاني أكثر الكتب تأثيراً في أمريكا (بعد الإنجيل)
- 1991 ينشر ليونارد بايكوف *الموضوعية: فلسفة آين راند*، الذي يعتبر بمثابة «بيان شامل» لرؤية راند العالمية
- 1995 تنشر معظم مراسلات راند في *رسائل آين راند*
- 1996 يصدر فيلم مايكل باكستون الوثائقي *آين راند: أي سينس أوف لايف (آين راند: إحساس بالحياة)* الذي يتحدث عن حياة راند وأفكارها
- 1999 يصدر الفيلم التلفزيوني *نا باشن أوف آين راند (شغف آين راند)* المستوحى مما روته باربرا براندن عن العلاقة الغرامية بين راند وناثانيال براندن

1999	تظهر صورة راند على طابع بريدي أمريكي
2000	تنشر نصوص معدلة لخطابات راند حول الكتابة الروائية تحت عنوان فن الأدب الخيالي
2001	تنشر محاضرات راند لعام 1958 حول الكتابات الواقعية في كتاب فن الأدب الواقعي
2001	يؤسس رجل الأعمال (والمؤرخ لاحقاً) جون مكاسكي مؤسسة نشيد للمنح الموضوعية
2009	بعد الأزمة المالية وصلت رواية حينما هز أطلس كتفيه إلى المرتبة الأولى على قائمة الروايات الأكثر مبيعاً على موقع أمازون
2009	تنشر السيرة الذاتية آين راند والعالم الذي خلقتة للصحفية آن سي. هيلر
2009	ينشر كتاب إلهة السوق للمؤرخة جينفر برنز والذي يتحدث عن أثر راند على الحركات السياسية
2011	ينتج الجزء الأول من سلسلة الأفلام الثلاث المستوحاة من رواية حينما هز أطلس كتفيه (يصدر الجزئين الآخرين في عامي 2012 و2014)
2012	يستضيف معهد الأبحاث في مؤسسة آدم سميث أول محاضرة سنوية لآين راند في لندن
2013	تتحول رواية راند نشيد إلى مسرحية

تنشر نصوص الذين لا يقهرون	2014
تنشر رواية راند القصيرة مثالي	2015
ينشر كتاب رفيق لآين راند الذي راجعه الباحثان الأمريكيان آلان غوتهيلف وغريغوري سالميري	2016

4 مختصر لرؤية راند الكونية

في مؤتمر مبيعات لرواية *حينما هز أطلس كتفيه*، سئلت راند إذا كانت تستطيع شرح فلسفتها - كيف كانت ترى العالم والبشرية - وهي تقف على قدم واحدة. فعلت ذلك باستخدام 10 كلمات:

«الميتافيزيقيا [أي طبيعة الكون] - الحقيقة الموضوعية؛

- المنطق؛

الأخلاقيات [أي المبادئ الأخلاقية التي يجب أن نتبعها في حياتنا]

- المصلحة الذاتية؛

العلوم السياسية [أي مبادئ التنظيم الاجتماعي]

- الرأسمالية».

لم تكن آنذاك قد كتبت بتعمق عن الفنون ولكن كان يمكنها أن تضيف:

«علم الجمال [أي مبادئ الفنون] - الرومانسية».

تلخص هذه الكلمات الاثنتا عشرة بشكل أنيق فلسفة راند، التي أسمتها /الموضوعية. والفلسفة، كما كانت ترى، ذات أهمية حيوية في كل جزء من الشؤون الإنسانية. لا يمكننا أن نختار بشكل مناسب المبادئ السياسية التي يمكنها أن تخدم المجتمع جيدًا دون تجذيرها في المبادئ الأخلاقية الصحيحة للأفراد. بدورها، يجب أن تكون هذه المبادئ الأخلاقية متجذرة في معرفة واضحة بالعالم وطرق عمله. ولتحقيق ذلك، نحتاج إلى استخدام طريقة منطقية وصالحة.

لكي ننجح، إذن، علينا أن نقوم بكل جزء من حياتنا بشكل موضوعي – أن نعيش على أساس الواقع كما يصح فهمه من خلال العقل والمنطق. لا يمكننا توقع الازدهار إذا اتبعنا نزواتنا أو تحيزنا أو أمانينا. يجب أن نختار قبول الواقع والتفكير بعقلانية وموضوعية.

راند عن الحقيقة

إن الميتافيزيقيا التي تناولتها راند هي بحثنا لاكتشاف الطبيعة النهائية للواقع والأشياء والوجود. ما نوع العالم الذي نعيش فيه؟ أهو حقيقي أم مجرد وهم؟ هل هو طبيعي، أم يتحكم به شيء خارق للطبيعة؟

تصر راند على أن العالم حقيقي وطبيعي. هناك أشياء حقيقية حولنا، ندركها بدورنا – بشكل تلقائي. ونحن ندرك أيضًا أن هذه الأشياء موجودة، وأنها تستمر في الوجود، سواء كنا أم لم نكن. إنها لا تختفي بمجرد إغماض أعيننا. بعبارة أخرى، فإن الوجود ذاته أمر حقيقي – أو، كما تصفه راند، «الوجود موجود».

تستنتج راند أن عالمنا ليس حلمًا، ولا شيئًا سحريًا، ولا غير منطقي، ولا اعتباريًا. الأشياء موجودة، ولديها علاقات قائمة مع بعضها بعضًا، دون تناقضات: نحن محاطون بأشياء صلبة وحقائق صلبة.

راند عن المعرفة البشرية

السؤال الذي تتناوله *الأبستمولوجيا*، نظرية المعرفة، هو كيف نحصل على معرفة موثوقة عن هذا العالم. لا يتعلق الأمر بما نعرفه -وهذا هو العلم- ولكنها تتناول كيفية حصولنا على هذه المعرفة. وهذا، كما تعتقد راند، يتوقف على كل من الواقع وأنفسنا.

توضح راند أن أدمغتنا تجعلنا ندرك تلقائيًا أن الأشياء موجودة، وأن الأشياء كائنة. ولكن من أجل البقاء والازدهار، نحتاج أيضًا إلى تعلم ماهية هذه الأشياء. لكن هذا ليس تلقائيًا: فنحن لا نولد ونحن نعرف ماهية كل شيء. علينا أن نتعلم ذلك، ما يتطلب تفكيرًا وجهدًا مقصودين. علينا أن نختار تركيز أذهاننا على المشكلة، واستنتاج ماهية الأشياء، ثم التحقق من صحة طريقتنا واستنتاجاتنا.

تقول راند إن هذا الاستخدام المتعمد *للعقل* هو الذي يبني المعرفة على أساس وعينا. العقل هو القوة البشرية الفريدة التي نحدد من خلالها الأشياء -ونفصلها ونصنفها إلى فئات مختلفة، مثل «بشر»، أو «حيوانات»، أو «أشجار»- على أساس سماتها الأساسية المميزة. ومن خلال المنطق، نضمن أن فئات التصنيف -أو المفاهيم- التي نكونها متسقة وليست متناقضة.

تعتقد راند أن هذه القدرة الفريدة تفسر نجاح البشر. إنها تمكننا من تصنيف، وإدارة، واستخدام كمية هائلة من المعلومات عن العالم. تسمح لنا بتلخيص عدد هائل من الملاحظات في فكرة واحدة. يمكننا ذلك من التفكير بمفاهيم شديدة التجريد، مثل «الحرية» أو «الأعمال» أو «الرفاه» - وبالعلاقات بين هذه المفاهيم. ويساعدنا ذلك على البقاء والازدهار.

راند عن الأخلاقيات

تعالج الأخلاقيات، أي دراسة كيفية تشكيل الأحكام الأخلاقية، المفهوم المجرد لـ«الخير». نحن لا نولد بمعرفة الخير من الشر، كما تقول راند: بل يجب أن نتعلم ذلك. لحسن الحظ، فمثلما يمكننا أن نتعلم طبيعة الوجود باستخدام عقلنا، يمكننا تعلم مبادئ الأخلاق بالطريقة ذاتها.

وتجادل راند بأن مفتاح فهم القيم الأخلاقية هو الحياة. والسبب في أن الكائنات الحية لها قيم على عكس الكائنات غير الحية هو أننا نواجه خيارات تحدث فرقاً بالنسبة لنا. تعتمد راحتنا وسلامتنا وصحتنا - وفي النهاية بقاؤنا، الذي تساهم فيه كل هذه القيم - على ما نفعله.

تخلص راند إلى أن مقياس أو معيار القيمة هو الحياة. وبالنسبة لكل منا، فإن هدفنا الأخلاقي هو الحياة الخاصة بنا.

وتحذر من أن الأخلاق التقليدية المتمثلة في التضحية بالنفس -الإيثار- مدمرة. إن التضحية بالنفس تضر بحياتك، بينما تشجعك تضحية الآخرين بحياتهم لأجلك على العيش كطفيلي. كلاهما غير مستدام؛ لا يمكن للإيثار أن يكون فضيلة.

بدلاً من ذلك، يجب أن تقدر نفسك وتتصرف وفقاً لمصلحتك العقلانية طويلة المدى وتقاتل من أجل قيمك الخاصة. مكافأة هذه الأخلاق، كما تقول، هي الحياة، والسعادة، واحترام الذات.

راند عن علوم السياسة والاقتصاد

تجادل راند بأن قيم ومبادئ تنظيمنا الاجتماعي -السياسة- تنبع منطقياً من الأخلاقيات التي توجه أفعالنا الفردية (التي تعتمد بدورها على كيفية فهمنا للواقع). توجه الفلسفة مساق الأمم، بالضبط كما توجه كل واحد منا.

تقول راند إن ما يربط بين الإجراءات الفردية والاجتماعية هو الحقوق - وهي مبادئ أخلاقية تحدد متى يمكن للأفراد أن يكونوا أحراراً في التصرف دون أن يقيد الآخرون تلك الحرية. وبما أن معيار القيمة عندنا هو الحياة، كما تتابع، فإن أكثر حقوقنا أساسيةً هو حق الحياة. وانطلاقاً من هذا، تتبع جميع الحقوق الأخرى.

على سبيل المثال، إذا أردنا أن نبقى ونعيش كبشر كاملين، يجب أن نستخدم عقلنا ونتصرف وفقاً له. لذا فإن الحق في الحياة يعني الحق في التفكير، والعمل المنتج، والاحتفاظ بثمار جهودنا - أي الملكية التي نخلقها. وتؤكد راند على أن النظام الوحيد الذي يضمن كل ذلك هو الرأسمالية غير المنظمة التي تؤمن حرية التصرف دون تدخل.

من الممكن بالتأكيد أن ينتهك الناس حقوقنا بالقوة. ولكن هذا شر، كما تقول راند، لأنه يجعلنا نتصرف ضد ما يمليه عقلنا ومعرفتنا وقيمنا. لذلك يجب مواجهة القوة. للأسف لا يمكننا الاعتماد على الأفراد للرد بشكل عقلاني ومتناسب مع القوة

التي ينبغي الرد عليها. لذلك فنحن بحاجة إلى وكالة -حكومة- يمكنها حماية حقوقنا من خلال اتخاذ إجراءات مدروسة ضد أولئك الذين يشرعون باستخدام القوة. وهذه ليست وظيفة صغيرة، بل تتطلب نظاماً قضائياً بقانون، وشرطة، ومحاكم، وعقوبات. لكن الدفاع عن الحقوق الفردية هو الوظيفة الوحيدة للحكومة. لا يتسنى تبرير أي شيء زائد عن ذلك، ما لم يتفق الجميع.

راند عن الفن والأدب

ترى راند علم الجمال -مبادئ الفن- فرعاً آخر من الفلسفة. فبينما تدرس الأخلاقيات كيف يمكننا فعل ما هو خير، يدرس علم الجمال كيف ينقل الفن ما هو مهم. مرةً أخرى، ليس ذلك مسألة نزوة أو شيئاً غامضاً، بل عملية عقلانية.

توضح راند أن الفنانين الحقيقيين -ومن بينهم الرسامون والنحاتون والمؤلفون والمسرحيون- يركزون انتباهنا باختيار الأشياء التي يرونها مهمة وتمثيلها وإغفال ما يرونه تافهاً أو عرضياً. بهذه الطريقة، هم يعيدون إنشاء الواقع، ما يعطينا نسخة واضحة التجسيد تساعدنا على صقل فهمنا للوجود.

يمكن للفن أن ينقل المفاهيم المجردة من خلال التعبير عنها في شكل مادي يمكننا فهمه مباشرةً. ويمكن أن يعلمنا شيئاً عن العالم وكيف يعمل. هذا سبب حاجتنا للفن. ويمكننا تقييم العمل الفني على هذه المبادئ الجمالية، حتى لو لم يكن يعجبنا أو لو اختلفنا مع ما يقوله.

صورة راند عن الكائن البطولي

يعكس الأبطال في أدب راند مثلها الأخلاقية الخاصة. هم عصاميون، يعتمدون على قيمهم الخاصة، وأحكامهم، وجهودهم. لا يتوقعون نيل شيء من الآخرين بالمجان ولا يعترفون بحق أي أحد في أن يأخذ منهم. لديهم شعور قوي بقيمتهم الأخلاقية وقيمة أولئك الذين يكسبون الاحترام المستحق. يحتقرون الطفيليين. وهم أذكاء، وعقلانيون، وخلاقون، وذوو رؤية، وحازمون، وواثقون. ويفتخرون بإنجازاتهم ونزاهتهم.

لا يلتزم الخصوم الرئيسيون في روايات راند بالعقل والمنطق. ويشملون المتنمرين الذين يستخدمون القوة أو سلطة الحكومة لاستغلال المفكرين المبدعين، والطفيليين الذين يعتاشون على المنجزين، وأصحاب التفكير الضحل الذين لا يفكرون بأنفسهم، والمنتقدين الذين لا يتكبدون حتى عناء ذلك التفكير، والمتلاعبين الذين يريدون جعل الآخرين يستسلمون لرغباتهم، وأولئك الذين يكرهون الآخرين ببساطة لنجاحهم.

هذا هو المقياس الذي تستخدمه راند أمام قيم ثقافتنا. في رواياتها، كما هو الحال في كتاباتها الأخرى، تصيغ راند بوضوح اعتقادها بأنه في النهاية لا يمكن سوى لثقافة العقل أن تستمر.

5 راند عن طبيعة الواقع

بالنسبة لرانند، تؤثر نظرتنا للعالم -فلسفتنا- على كل جزء من سلوكنا. ولازدهار أنشطتنا الشخصية، والاجتماعية، والسياسية والاقتصادية، نحتاج إلى فهم واضح للعالم والطبيعة البشرية.

تعد/الميتافيزيقيا، دراسة الطبيعة الأساسية للواقع والوجود، مكاناً جيداً للبدء. رغم أن العديد من الفلاسفة قد تساءلوا عما إذا كان العالم الذي نختبره حلاً، أو تشوهاً، أو وهماً أو مجرد ظل لواقع أعمق، تتبنى راند وجهة نظر منطقية. وتصر على أن العالم الذي ندركه هو الواقع. ويكمن التحدي في فهمه.

ندرك تلقائياً أن الأشياء موجودة: يمكننا رؤيتها ولمسها. لكن بينما تخبرنا هذه الأحاسيس والتصورات بوجود أشياء، فإنها لا تخبرنا عن ماهيتها. إذا أردنا أن نعيش ونزدهر، فعلينا أن نعمل على حل ذلك. وعندما نحكم عقلنا في هذه المشكلة، نكتشف أن العالم ليس لغزاً أو وهماً، بل حقيقة من الأشياء الصلبة والحقائق الراسخة. هذا هو الواقع الذي يجب أن تستند إليه حياتنا وأنشطتنا.

مسلمات أساسية

لإظهار السبب، تبدأ راند بثلاث *مسلمات* - بيانات عن الوقائع تدعي أنها صحيحة بصورة بديهية.

أولاً، نعلم أن الأشياء موجودة. تجعلنا أدمغتنا ندركها. قد لا نعرف طبيعتها الدقيقة -ما هي بالضبط وكيف تتصرف- لكننا نعلم أنها موجودة هناك. ونعلم أنها

لا تختفي فحسب عندما لا نبحت. فإنها تملك وجودها الخاص. أو على حد تعبير راند، «الوجود موجود» أيضاً.

ثانياً، نحن ندرك أن الأشياء موجودة. نحن نلاحظها. نحن نعيها. هذا يعني أنه يجب أن نكون موجودين، ووعينا موجود. وحقيقة كوننا واعين تعني ضمناً أيضاً أن الأشياء موجودة. فلا يمكننا أن نكون واعيين بلا شيء؛ يجب أن نكون واعيين بشيء ما.

ثالثاً، أن تكون شيئاً ما يعني أنه يجب أن يكون للشيء هوية – مجموعة من الخصائص التي تميزه كشيء ما وليس كشيء آخر. وعلى حد تعبير راند، «الوجود هوية» أو «أ هو أ» – لا يمكن للمرء أن يفصل وجود الشيء (الذي هو عليه) عن جوهره (ما هو عليه). يجب أن يكون الشيء شيئاً ما، ولا يمكن أن يكون شيئاً آخر في نفس الوقت. وهذا هو قانون الهوية.

وبالتالي، فإن الوجود والوعي والهوية كلها متشابكة. وهي بديهية: فهي لا تتطلب أي دليل يتجاوز ما نختبره. وفي الواقع، تقول راند، إن أردت دحضها، عليك أن تفترضها: لا يمكنك تأطير أي حجة دون الإشارة إلى الأشياء ووعيك بها. وبالتالي فإن هذه المسلمات هي أسس كل معرفتنا وتفكيرنا.

الهوية والسببية

إن الإدراك الحسي، الذي يخبرنا أن الأشياء تكون –أنها موجودة– هو أمر تلقائي. لكن الطريقة التي نفهم بها ماهية الأشياء وكيفية تصرفها تتم عن طريق العقل. وهذا ليس تلقائياً. بل يتطلب الاختيار. ويتطلب منا التفكير والتفكير بموضوعية.

لشرح العملية، تتخيل راند كيف يتعلم الطفل رؤية العالم. في البداية، لا يشعر الطفل إلا بخليط من الألوان، والضوضاء، والروائح، والطعوم والأحاسيس الأخرى المنفصلة. لكن دماغ الطفل يربط هذا تلقائياً بمجموعات من الأحاسيس - الإدراكات الحسية - التي تمنحه القدرة على إدراك الأشياء، وليس فقط الأحاسيس الفردية التي تبدو عشوائية. لذا فبدلاً من رؤية بقع متباينة من الألوان والأشكال، يرى الطفل، مثلاً، شيئاً كاملاً، كياناً كاملاً، مثل طاولة معينة.

وبمزيد من التفصيل في هذه العملية، يراقب الطفل خصائص هذه الكيانات وحجمها وأفعالها وعلاقاتها ويلاحظ أنها تتصرف وتؤثر على الطفل بطرق مختلفة ولكن متسقة. الطاولة، مثلاً، قاسية الملمس، لكن الدمية الدب ناعمة. يتحرك الكلب وينبح، لكن الطاولة لا تتحرك. يمكن للطاولة أن تسحق دمية دب، لكن دمي الدببة لا تسحق الطاولات. إن كيفية تصرف الأشياء وتأثيرها على الأشياء الأخرى - السببية - هي أيضاً جزء من هويتها. السببية، كما تصفها راند، هي قانون الهوية المطبق على الفعل.

الوجود والوعي

يلاحظ الطفل شيئاً آخر أيضاً. أغمض عينيك، سيبدو أن الأشياء تختفي؛ افتح عينيك وسترى أنها ما زالت هناك دون تغيير. بهذه الطريقة ندرك الوجود ووعينا. ندرك أن الأشياء تملك وجوداً خاصاً بها ومستقلاً عنا. لا يمكننا تغيير الوجود بإغلاق أعيننا أو تمنى اختفاء الأشياء.

لهذا السبب، تقول راند، لا يفيدنا أن نتمنى فقط أن تكون الأشياء مختلفة أو نصلي من أجل تغييرها أو نأمل أن تختفي إذا تجاهلناها. تبقى الأشياء حكمًا على ما هي عليه. وتستمر في الوجود وتتصرف وفقًا لطبيعتها الأساسية، أيًا كانت رغباتنا وأحلامنا الخاصة. أو على حد تعبيرها، للوجود أسبقية على الوعي.

بعبارة أخرى، لا يمكننا أن ندعي أننا نعرف العالم بالنظر داخلًا إلى مشاعرنا؛ علينا أن ننظر خارجًا إلى حقائق الواقع الثابتة. تقول راند، إن العالم ليس من نسج خيالنا، ولا يمكننا خلق شيء وتغييره حسب رغبتنا. إنه معطى ويجب احترامه بصفته هذه.

الضرورة والاختيار

لا بديل عن قبول المعطى الميتافيزيقي، كما تسميه. فالحقائق حقائق: الأشياء هي ما هي عليه، وتوجد وتتصرف وفق طبيعتها، بغض النظر عنا. إنها ضرورية – أجزاء من واقع حتمي.

الأشياء الوحيدة غير الضرورية في عالمنا هي الأشياء التي نختار نحن كبشر، بإرادتنا الحرة، فعلها أو صنعها. ولكن حتى في تلك الحالة، تبقى خياراتنا محدودة بسبب حقائق الواقع المعطاة. لا يمكننا أن نختار جعل الأشياء خلاف ما هي عليه، مثلًا، ولا تغيير الأحداث بمجرد تمنى ذلك. يمكننا بالتأكيد إعادة ترتيب الأشياء الموجودة بالفعل – لنقل، تحويل الطين والقش إلى طوب – لكن لا يمكننا خلق أشياء من لا شيء.

مهما كان ما نختار فعله، علينا ببساطة قبول حقائق الطبيعة. لا فائدة من إنكارها أو لومها على إخفاقاتنا: إنها معطاة ببساطة. لكن الحقائق الناتجة عن اختياراتنا ليست معطاة. يمكن الحكم عليها بأنها جيدة أو سيئة – ويجب ذلك، إذا أردنا أن نختار بحكمة في المستقبل.

رفض الواقع

إن التغاضي عن هذا الاختلاف يؤدي إلى أخطاء فادحة. كبدائية، تشكو راند، يفترض الكثير من الناس أنه لا يمكن تغيير نتائج الاختيار البشري – الثقافة السياسية، مثلاً. لذا ينجرفون إلى الامتثال الطائش، باتباع القاعدة، أو الغوغاء، أو الديكتاتور.

يتخيل آخرون، يعرفون بالمثل/البيين، مثل الفيلسوف اليوناني القديم أفلاطون، أنه يتم التحكم بالعالم بواسطة (أو أنه يعد مجرد ظل لـ) شيء خارق للطبيعة. يدفع هذا البعض إلى الاعتقاد بأنه يمكننا تغيير الواقع عن طريق مشاعرنا أو رغباتنا أو صلواتنا. لكن راند تشكو من أن هذه فنتازيا. إنه يسلم بأن الوعي (أو «الروح») أولي. ويتجاهل المسلمات الأساسية للواقع. ولأنه لا يستند إلى العقل، فإنه يؤدي إلى تناقضات.

وبالمثل، هناك الماديون، مثل المفكر السياسي الألماني كارل ماركس وعالم النفس «السلوكي» الأمريكي ب.ف سكينر، الذين يقبلون الحقائق لكنهم ينكرون دور الوعي، ويعتبرونه إما خيالاً روحانياً، أو مجرد نتيجة ثانوية لنشاط الدماغ البدني. لكن تزعم راند، أنه دون الإدراك، ودون الوعي، لن يكون لدينا استيعاب للواقع إطلاقاً.

ليس من السهل اكتساب استيعاب سليم للواقع. لكننا نسدي إلى أنفسنا
معروفاً كبيراً إذا فهمنا العملية والطريقة التي يجب أن نتبناها لفعل ذلك. وهذه هي
الضفيرة الثانية من فلسفة راند.

إن المحور الثاني هو *الأبستمولوجيا* - مسألة كيفية اكتسابنا للمعرفة وكيفية فهمنا للواقع. ليس ما نعرفه (وللمرة الثانية، هذا هو العلم) بل كيفية معرفتنا بالأشياء.

عملية الفهم

وفقاً لما توضحه راند، إننا نحصل على البيانات الخام عن العالم من خلال حواسنا، إذ تتلقى أدمغتنا تدفق الأحاسيس التي تبدو عشوائية وغير مترابطة ومن ثم تحولها إلى *تصورات* متماسكة. إن هذه التصورات ذاتها هي ما يجعلنا ندرك وجود الأشياء.

ولكن فهم ماهية هذه الأشياء ليس تلقائياً، بل يتطلب إرادة منا - الاستخدام المتعمد للذهن والفكر - لكي تتحول التصورات الأولية *للأشياء* إلى معرفة مفيدة بهذه *الأشياء*. تطلق راند على هذه العملية اسم *العقل*.

ينطوي العقل على تحويل تصوراتنا بصورة واعية إلى مجموعات ذهنية نسميها *مفاهيم*. ومن خلال تطوير وتنقيح واختبار مفاهيمنا نستطيع إدراك الطبيعة الحقيقية للأشياء. يتطلب الأمر تركيزاً وجهداً، فنحن لا نولد بذهن مليء بالمفاهيم الجديدة التي تعكس حقيقة الواقع. وينبغي علينا أن نتعلم قواعد التفكير السليم وأن نتبعها إذا أردنا خلقها. وعلينا أن نحافظ على موضوعية تفكيرنا وألا نشوّهه بتحيزاتنا، أو أحلامنا، أو أهوائنا.

مصادقية الحواس

يزعم بعض المشككين أن حجة راند تسقط أمام أول عقبة. وفقاً لما يقولونه، لا يمكننا أبداً أن نمتلك معرفةً صحيحةً بالعالم، فقد تشوه حواسنا الواقع الذي تنقله لنا. ولكن راند ترى أن تصوراتنا صحيحة تماماً. إن الوظيفة الوحيدة المطلوبة من حواسنا هي جعلنا ندرك وجود شيء ما، ثم تتحول المسؤولية إلى عقلنا لكي يفهم ماهية الشيء الموجود بالضبط.

إن الواقع والوعي مترابطان فيما بينهما على نحو وثيق. تنبع أحاسيسنا من طبيعة الأشياء الحقيقية من جهة ومن طبيعة حواسنا من جهة أخرى. ترى راند أننا لربما نختبر الواقع بشكل مختلف – كما الحال بالنسبة للفرق بين الأشخاص العاديين وأولئك المصابين بعمى الألوان – ولكنه الواقع ذاته كما يظهره العقل لنا.

إن اللون أو الطعم وما إلى ذلك لا يتواجدون «في الذهن» مستقلين بطريقة أو بأخرى عن الأشياء الحقيقية، فضلاً عن أنهم ليسوا صفات للأشياء ومستقلين عنا بشكل أو بآخر. إنهم الأثر الذي تتركه الأشياء علينا، وهذه هي الطريقة التي ندرك من خلالها الواقع. لا يوجد أي تشويه: الشيء وحواسنا كلاهما جزء من إدراكنا. لا يمكن أن تحدث الأخطاء أو التشوهات إلا حين نبدأ في التفكير بما تمثله هذه التصورات حقاً.

المراحل الأولى من الوعي

تنطوي هذه العملية على عدة مراحل. وكما ذكرنا سابقاً، لا يختبر الأطفال الصغار جداً في البداية سوى أحاسيس تبدو عشوائية ومنعزلة. ولكن فيما بعد، تحول أدمغتنا الصغيرة هذه الأحاسيس تلقائياً إلى تصورات. ولذلك، بدلاً من استشعار خليط متفاوت من الأشكال الخضراء والبنية مثلاً، إننا ندرك الآن مجموعة متماسكة من الأحاسيس (مدرّك) يطلق عليها الإنسان البالغ اسم «شجرة».

إننا ندرك الآن شيئاً أو كياناً أو أمراً مختلفاً عن أحاسيسنا المرجعية الأخرى وعن الكيانات الأخرى أيضاً. في البداية، يبدو كل مفهوم – كل «شجرة» مستقلة ندركها – وكأنه فريد من نوعه. ولكن مرةً أخرى، تبدأ أدمغتنا الصغيرة تلقائياً في فهم الاختلافات وأوجه التشابه، بالإضافة إلى العلاقات بينها. ولذلك نستطيع رؤية هذه الكيانات على أنها ليست فريدةً من نوعها، بل أعضاءً في مجموعة من الأشياء («الأشجار») التي تمتلك سمات موحدة.

تشكيل المفاهيم

إن العملية مازال تلقائيةً حتى الآن – لدى البشر والحيوانات على حد سواء. ولكن وفقاً لرانند، نبدأ في هذه المرحلة بشيء مقتصر على البشر وضروري بالنسبة لفهمنا وبقائنا. بعد أن تعزل أدمغتنا هذه المدركات وتحدد ما يجعلها متشابهةً أو مختلفةً بشكل تلقائي، يبدأ عمل عقلنا. نحن من نحول هذه المدركات إلى مجموعات جديدة – في كيانات ذهنية جديدة نسميها مفاهيم.

يتطلب هذا الأمر جهداً واعياً: علينا أن نختار التفكير في الطبيعة الأساسية للأشياء المختلفة. ولكن من خلال استخدامنا للمفاهيم، يمكننا معالجة المزيد من

المعلومات حول العالم واستخدامها، وبالتالي تعزيز فرصنا في البقاء والازدهار. لو اعتبرنا كل شجرة كائنًا فريدًا في حد ذاتها وحسب، لا تستطيع عقولنا استيعاب هذا العدد من الأشجار المستقلة عن بعضها البعض. ولكن من خلال استخدامنا لمفهوم «الشجرة»، يمكننا التحدث عن كل شجرة – ليس تلك التي نستطيع رؤيتها وحسب، بل أي عدد من الأشجار، وفي أي مكان كانت، وسواء وجدت في الماضي أو الحاضر أو المستقبل.

وليس علينا أن نتوقف عند هذا الحد، إذ يمكننا الاستناد إلى هذه المفاهيم الوجودية التي تشير إلى الأشياء الصلبة مثل «الشجرة» في تشكيلنا لمفاهيم مجردة لا وجود لها/إلا ضمن نطاق أذهاننا مثل «الأشجار» – أو حتى الأفكار الأكثر تجريديًا مثل «الغطاء النباتي» أو «الحياة» أو «الطبيعة».

إنها ميزة كبيرة لأنها تمكننا من التصرف على أساس شيء أكثر تعقيدًا بكثير من الأحاسيس والتصورات الفورية. إنها تسمح لنا بالتحليل والتخطيط لما هو أبعد من المكان والزمان الذي نعيش فيه، وتمكننا أيضًا من فهم الروابط السببية بين المفاهيم المجردة – ولكن المهمة – مثل «العمل» و«الثروة».

وبعبارة أخرى، المفاهيم شكل من أشكال المعرفة التي تساعدنا على اتخاذ القرارات ووضع الخطط وبالتالي تعزيز بقائنا وازدهارنا.

عملية نشطة

إن هذه العملية، على سبيل التأكيد، ليست تلقائية. إنها عملية نشطة ومتعمدة وواعية لمعرفة آلية تجميع عقلنا لما نستوعبه من الأشياء بأكثر الطرق دقة وإفادة. تؤكد راند

أن التوصل إلى مفاهيم صحيحة يتطلب جهداً، وفكراً، وفلسفةً، ونهجاً، وتركيزاً. إنها عملية ذهنية إرادية ينبغي علينا المشاركة فيها.

قد تكون هذه العملية طويلةً وصعبةً أيضاً. فمن الممكن أن تنطوي على تشكيل سلاسل طويلة من المفاهيم – بناء مفاهيم وجودية بالاستناد إلى المدركات («شجرة»)، ومن ثم بناء مفاهيم مجردة بالاستناد إلى تلك المفاهيم («الأشجار»)، وبعدها بناء المزيد من المفاهيم المجردة («الغطاء النباتي») بالاستناد إلى تلك المفاهيم. إن المفاهيم الأكثر تجريداً (مثل «العدالة» أو «الشجاعة» أو «الصداقة») تتطلب تجريداً من آلاف الملاحظات والمفاهيم الأخرى. وكلما ابتعدت هذه المفاهيم المجردة عن الإدراك، تزيد صعوبة فهمها بشكل صحيح، فمن الممكن أن يتسبب مفهوم سيء في تضليل وتشويه تفكيرنا فيما يتعلق بالعديد من المفاهيم الأخرى.

ولهذا السبب، ينبغي أن تكون مفاهيمنا متلائمةً مع الغرض منها – أي الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف الأساسية بين الأشياء. يمكننا خلق مفاهيم جديدة تؤدي هذه المهمة على نحو جيد، ولكن يمكننا أيضاً إنشاء مفاهيم سيئة تفتقر إلى السمات المميزة الأساسية للأشياء، وهذا ما ينطبق بالفعل على مفاهيمنا الأكثر تجريداً.

نحن إذاً بحاجة إلى نهج جيد في كل مرحلة من المراحل. علينا أن نتأكد من كون مفاهيمنا متجذرةً في حقيقة راسخة ومتوافقة دائماً مع الواقع دون وجود أي تناقضات. ومن خلال هذا الأمر وحسب يمكننا امتلاك المعرفة السليمة التي نحتاجها من أجل اتخاذ القرارات العقلانية والتصرف وفقاً لمصالحنا طويلة الأمد.

اللغة والهوية

تعتقد راند أن إحدى القدرات البشرية الأخرى - اللغة - لها دور فعال في تطويع مفاهيمنا ذهنيًا مهما كانت مجردة. إننا نطلق اسمًا على كل مفهوم، ونحول هذه المفاهيم إلى «محسوسات» يستطيع عقلنا التعامل معها. تحدد هذه الأسماء مفاهيمنا: إنها «العلامات» التي تلخص ما يوجد في كل «ملف» ذهني. ولذلك تعتبر اللغة أداةً أساسيةً لتشكيل المفاهيم - وبالتالي فهي جزء أساسي من طريقة تفكيرنا.

ولكن تحديد هوية المفاهيم ليس بالأمر السهل. على سبيل المثال، تتساءل راند عن كيفية تعريفنا «للإنسان»؟ ينبغي أن يلخص تعريفنا جميع السمات الأساسية التي تميز البشر عن أي شيء آخر. وينبغي أن ينطبق هذا التعريف على جميع البشر - في الماضي والحاضر والمستقبل. أما تحديد المفاهيم الأكثر تجريداً فينطوي على صعوبة أكبر.

إن تحديد ما يجعلنا بشراً هو أمر في غاية الأهمية بالنسبة لRAND، لأن فهم الإنسان وأفعاله هما محور تركيزها. تجرأت راند، متأثرةً بأرسطو، على تعريفنا بأننا حيوانات عاقلة. هناك سمات أخرى قد تميزنا عن الحيوانات أيضاً - كالإبهامين المتقابلين مثلاً - ولكنها تصر على أن التعريف ينبغي أن يركز على ما هو أساسي وليس على الأمور العرضية. وبالنسبة لها، إن أهم ما يميزنا عن الحيوانات الأخرى هو كوننا عقلانيين. نحن نمتلك القدرة على تحديد البيانات الإدراكية وتحويلها إلى معرفة.

الفكر، والواقع، والمنطق

مرةً أخرى، يلخص هذا التعريف عددًا كبيرًا من الملاحظات السابقة والحالية حول البشر وأفكارهم وأفعالهم. تقول راند مازحةً إن الكلمة أهم من ألف صورة. ولكن مهما كانت مفاهيمنا مجردةً (مثل «الإنسان» أو «الثقافة» أو «النجاح» أو «الإنسانية»)، ينبغي أن تعكس الواقع في كل مرحلة. لا يمكن أن تكون تعريفاتنا مجرد تسميات عشوائية نضعها على هوانا، بل ينبغي أن تشتق من حقائق واقعية وحتمية، ومن المفترض أن تكون موضوعيةً.

إن معرفتنا المفاهيمية هرمية – نحن نضع مجلدات ملفاتنا الذهنية داخل مجلدات ملفاتنا الذهنية الأخرى بينما نزيد من مستوى التجريد فيها (نحن ننتقل مثلاً من «كرسي» إلى «أثاث» ثم «سلع منزلية» وصولاً إلى «عقار») ونبتعد عن تصوراتنا الأولية. ولكي تكون مفاهيمنا المجردة صحيحةً، علينا أن نتأكد من صحة كل خطوة نتخذها خلال تشكيلها، ويجب أن نكون قادرين على تتبع جذورها وصولاً إلى المستوى الإدراكي.

إن الطريقة التي نستخدمها لكي نتحقق من مدى توافق مفاهيمنا مع الواقع تسمى المنطق. ينبغي ألا تنطوي الهويات التي نشكلها والتعريفات التي نستخدمها لوصفها على أي تناقضات، فالمنطق يعني أن نحدد ما تعنيه مفاهيمنا وتعريفاتنا ومن ثم التعديل عليها في حال ظهور أي تناقضات. يجب علينا أن نكون قادرين على تتبع خط حجتنا وصولاً إلى الحقيقة الإدراكية أو البديهيات الغنية عن البيان دون ظهور أي تناقضات. ولكن تتذمر راند من الخطأ الشائع المتمثل في بناء مفاهيمنا بالاستناد إلى أخطاء الماضي دون تفكير.

المعرفة ونقادها

اقترح العديد من الفلاسفة قبل راند وجود واقع مستقل عنا وعن عقولنا ولكننا نستطيع معرفته. تضم قائمة هؤلاء الواقعيين، كما يطلق عليهم، كلاً من أرسطو وتوما الأكويني وفرانسيس بيكون ورينيه ديكارت وجون لوك وغيرهم الكثير.

يكنم الاختلاف الرئيسي في أن معظم الواقعيين يعتقدون أن الرابط الوحيد بيننا وبين الواقع هو الدليل المشكوك به لحواسنا، بينما تشمل واقعية راند الإدراك أيضاً. تؤكد راند أن تصوراتنا ليست مجرد مجموعة من البيانات الحسية التي نتلقاها من خلال أعضاءنا الحسية (التي قد تكون غير موثوقة)، بل هي إدراك مباشر للأشياء. ثمة بعض المفكرين الآخرين الذين فكروا بطريقة مشابهة، مثل توماس ريد، ولكنهم لا يشكلون سوى أقلية.

ويتمثل أحد الاختلافات الأخرى في أن راند ليست واقعية فيما يتعلق بالمفاهيم المجردة، على عكس العديد مثل أفلاطون وتوما الأكويني. بالنسبة لها، يمكننا أن ندرك وجود «شجرة» معينة بغض النظر عنا، ولكن «الأشجار» أو «الغطاء النباتي» ليست أشياء «حقيقية» وليست موجودة بشكل مستقل عنا. إنها أفكار مجردة نشكلها في أذهاننا ولا توجد إلا فيها. إنها نظام تنظيم الملفات الذي نستخدمه لكي ننظم تصوراتنا ذهنياً.

ولكن راند لا تعتقد أن الجدل حول الواقع وكيفية معرفتنا به مقتصر على الحجج التي يتبادلها الواقعيون الذين يفترضون وجود عالم حقيقي، والمتشككون مثل الفيلسوف الأسكتلندي ديفيد هيوم الذي يعتقد أننا لا نستطيع معرفة أي حقيقة تتجاوز أحاسيسنا. تتمثل وجهة نظرها الخاصة في أن الأشياء الحقيقية موجودة،

ولكننا لا نعرف ذلك إلا من خلال تأثيرها علينا وعلى طريقة تفكيرنا بها. لا يمكن فصل الواقع عن عقولنا، ولا تستطيع عقولنا أن تشكل الواقع وفقاً لأهوائنا. ولكي نبقي ونزدهر، علينا أن نختار التفكير بموضوعية فيما نختبره باستخدام المنطق والعقل، من أجل بناء صورة واضحة للعالم متجذرة في الحقيقة.

عجز اللأدرية

تلاحظ راند أن بعض الناس يرفضون النهج الموضوعية ويؤمنون بالله أو بالتناسخ أو بأن الكواكب تتحكم في حياتنا. إنهم يدعون أنه ما لم نتمكن من إثبات خطأهم، علينا أن نعترف باحتمالية أن يكونوا على حق. ولذلك يقولون إنه على الأقل ينبغي علينا أن نعترف بعدم قدرتنا على التأكد وأن نبقي لأدريين.

ترفض راند هذا الكلام: نحن لسنا ملزمين بدحض مثل هذه الادعاءات، ولسنا مضطرين لأخذها على محمل الجد بافتراض أنها تستحق الدراسة والنقاش. يقع العبء دائماً على المتحدثين لتقديم أدلة واقعية تدعم معتقداتهم. وإن لم يستطيعوا فعل ذلك، يمكننا رفض مزاعمهم باعتبارها اعتباطية وحسب – وليس لها أي أساس في الواقع، تماماً كما أي فكرة عشوائية أخرى، مهما كانت غريبة.

ولذلك ترى راند أنه من غير المنطقي أن يلقي عبء الإثبات على النقاد، أو أن نجبر على تقبل ما نشك به. لو انخرطنا في عملية منطقية مبنية على أدلة قوية في سياق الحقائق المتاحة، إذًا لا مجال للشكوك ولا سبب للأدرية.

العقل والعاطفة

يعتقد بعض النقاد الآخرين أن رغباتنا وعواطفنا هي التي تدفعنا، وأن مهمة العقل هي أن يوضح لنا الطريقة الأفضل لتحقيق غاياتنا وحسب. «إن العقل ... مجرد عبد للعواطف» بحسب تعبير ديفيد هيوم، ولكن راند ترى الأمر من منظور مختلف تماماً، فهي تقول إن الفكر هو ما يوجه العواطف وليس العكس.

تذكرنا راند أن العقل هو الملكة التي تمكننا من تحديد الأشياء وتخزينها ضمن مفاهيم، أما العواطف فهي نتاج هذه العملية العقلانية. العاطفة هي استجابتنا النفسية لشيء نقدره بطريقة أو بأخرى – كأن يكون جيداً أو سيئاً أو مفيداً أو خطيراً. ولكن لكي نعرف ما يعنيه شيء معين بالنسبة لنا، علينا أولاً أن نعرف ماهيته. يجب أن نستخدم عقلنا أولاً: العقل يسبق عواطفنا. قد تكون العواطف مفيدة بطرق أخرى، ولكنها لا تستطيع إخبارنا بما هو حقيقي.

موقف راند الفلسفي

تخلص راند إلى أن الفلسفة التقليدية منقوصة بالضرورة، لأنها فشلت في استيعاب أن المعرفة مبنية على كل من الواقع والعقل، فالمعرفة بالنسبة لها شراكة حميمة بين الاثنين. وتأكيداً على ذلك، تصف راند العملية التي نكتسب من خلالها المعرفة بأنها أبستمولوجيا نفسية.

إن الفلسفة الصحيحة إذاً ضرورية بالنسبة لفهمنا للعالم وعملنا داخله، وهذا ينطبق على تصرفاتنا الأخلاقية كما ينطبق على أي تصرفات أخرى.

تقول راند إن التفكير في التصرفات والقيم الأخلاقية مهم جداً عند البشر، لأننا تفرّدنا بين الأحياء بقدرتنا على اختيار سلوكنا ومعاملتنا للآخرين، واختيار الفضائل والمثل التي نتطلع إليها.

ولكن إذا كنا سنختار اختيارات أخلاقية صالحة، فعلينا أولاً أن نختار اختياراً آخر. علينا أن نختار التفكير الموضوعي، أي استعمال عقلنا وتركيزه على معرفة الطبائع الحقيقية للأشياء، من دون انحراف ولا مراوغة. وصفت راند الحالة التي سيوصلنا إليها هذا الاختيار ببلاغة لخصت فيها فلسفتها كلها:

«لأي هدف ينبغي أن يعيش الإنسان؟ - الجواب: الحياة.

حسب أي مبدأ ينبغي أن يتصرف ليحقق هذا الهدف؟ - الجواب: العقل.

من الذي يجب أن ينتفع من أفعاله؟ - الجواب: نفسه.»

الحقائق والقيم

على مر القرون، سعى فلاسفة الأخلاق إلى حل مشكلة إثبات صحة أحكامهم الأخلاقية. يمكننا أن نثبت الحقائق - ما كان - ولكن كيف نثبت القيم - ما ينبغي؟ واختاروا عادةً أحد هذين الجوابين: إما أن الدين أو التراث أو سلطة ما هي التي تخبرنا بصلاح القيم أو فسادها، وإما أن الخير والشر والصواب والخطأ مسألة رأي شخصي.

تقول راند إن الموضوعية غائبة عن الجوابين كليهما: لأن كلاً منهما يرى أن الحقائق والمنطق أمر لا علاقة له بالقيمة الأخلاقية. لكن القيم الأخلاقية موضوعية، تؤكد راند. يمكن استنتاج القيم منطقيًا من الحقائق. كما أن العقل يظهر لنا طبيعة الواقع، يمكن أن يظهر لنا طبيعة الخير والشر. هذا البحث -بحث الأخلاق- بحث عقلي: إذا اخترنا أن نعمل عقولنا، يمكننا أن نستكشف القيم الأخلاقية بها. والحقيقة التي تقوم عليها هذه القيم الأخلاقية عند راند، هي الحياة.

الحياة والقيمة الموضوعية

تقول راند إن القيمة هي شيء تسعى الكائنات الحية إلى اكتسابه (أو الحفاظ عليه). قد تجد هذه الكائنات مثلاً قيمة في الراحة والأمان، وتسعى إلى حماية هذه القيم بالسعي إلى أهداف محددة (كالطعام والماء والمأوى). لكن كل هذه الأهداف والقيم تؤدي إلى غاية مطلقة: الحفاظ على النفس - على الحياة.

لذا فإن مفهوم القيمة عند راند قائم على وجود فاعل ذي هدف - يواجه بديلاً يغير هذه القيمة (كالجوع والامتلاء، وبالمطلق كالموت والحياة).

أما ما ليس فيه حياة، فليس عنده قيم. الصخرة مثلاً، لا هدف لها ولا غاية، ولا هي قادرة على أي تصرف. ولكن الشيء إذا كان يستطيع التصرف ولا يمكن إيناءه - كروبوت لا يمكن تدميره مثلاً - فليس عنده قيم كذلك. لا يفعل هذا الروبوت شيئاً (ولا يمتنع عن فعل شيء) يغير حاله: لا قيمة لتصرفاته.

المعايير الأخلاقية

تقود الغريزة الحيوانات إلى الأشياء التي تنفعها بعموم. ولكن نحن البشر مختلفون. نحن نختار كيف نتصرف. هذا الاختيار يمنحنا مرونة قوية، وإن كان يعني أننا قد نختار اختيارات خاطئة تدمرنا. هذا هو سبب حاجتنا للأخلاق عند راند. إذا كان وجودنا نفسه على المحك، فلا بد لنا من شيء يدلنا وينقلنا نحو هدف الحياة المطلق -حياتنا- ويبعدنا عن الأخطاء المدمرة.

وتتابع راند أننا لكي نعرف التصرفات التي ستؤدي إلى الدمار، لا بد أن نستعمل عقلنا. لا بد أن نقبل طبيعتنا البشرية وأن نسعى إلى معرفة ما يعزز بقاءنا - بقاءنا بوصفنا كائنات كاملة مفكرة هادفة منتجة فاضلة.

على أساس هذا الفهم، علينا أن نحدد ونعتمد نوعاً من الحياة والقيم يحتاجه الإنسان لكي يبقى ويزدهر - نظاماً أخلاقياً يساعدنا على اختيار التصرفات التي تؤدي إلى هذا الهدف.

الحياة عند راند هي المعيار المطلق للقيمة - المبدأ الذي تقاس به اختياراتنا الفردية ويُحكم عليها بالخير أو الشر. كل ما يعزز الحياة خير، وكل ما يهددها شر. إن الذين يرون أن القيم الأخلاقية مسألة اختيار شخصي، أو أنها مفروضة من الله أو سلطة ما، مخطئون في مسألة الأخلاق، لأنهم ينسون أن القيم الأخلاقية لها وظيفة موضوعية هي الحفاظ على الحياة.

مفهوم القيمة الموضوعية

تمكننا هذه الطبيعة الموضوعية للأخلاق، في رأي راند، من امتلاك معرفة أخلاقية مثل أي معرفة أخرى من معارفنا: هي نظام ملفات ذهنية، مؤسس على الواقع عن طريق العقل، يساعدنا على فهم الخيارات الصالحة واختيارها، وعلى البقاء. ككل المفاهيم الأخرى، ليست الأفكار الأخلاقية كالخير والشر والصواب والخطأ والعدل والظلم إلا تجريدات ذهنية تتيح لنا معالجة مقدار ضخم من التجارب ومن ثم اختيار القيم والأهداف والتصرفات التي تمكننا من الازدهار. الأخلاق إذن ليست شيئاً دينياً ولا عشوائياً، بل أداة أساسية للبقاء. الأخلاق هي علم الحفاظ على النفس.

ومرة أخرى، كما أننا لا نولد عالمين بالأشياء – ما كان – فكذا لا نولد عالمين بالأخلاق – ما ينبغي أن يكون –. إن علينا أن نستكشف الأخلاق بإعمال عقولنا بطريقة موضوعية: بالبدء بالحقائق واستعمال الأساليب المعقولة، يجب أن نعرف هل يصلح أن نكذب مثلاً؟ أو أن نعطي الفقير؟ أو أن نحارب؟

العقل إذن، تقول راند، هو ما يجعل كل القيم الإنسانية ممكنة. و/الفضيلة الكبرى – أي الفعل الطوعي الذي نحمي به قيمنا – هي أن نستعمل عقولنا. وكذلك فالرذيلة الكبرى هي رفض العقل: رفض التفكير، ترك التركيز لتجنب التناقض، تجاهل عواقب الأفعال (كالمدمنين)، الأمل بأن تعمل الأمور «بطريقة ما». إذا اخترنا الحياة، فلا بد أن نقبل الواقع.

علم الحفاظ على النفس

لكن الواقع يواجه الأفراد ويخيرهم بين الحياة والموت. إن الهدف المطلق لكل فرد هو الحفاظ على النفس. على كل واحد منا أن يختار قيمه وأفعاله، حسب المعيار الأخلاقي لحياته.

تستنتج راند استنتاجها المثير للجدل، وهو أن التزامنا الأخلاقي الأول هو *المصلحة الذاتية* – أي التركيز على بقائنا وسعادتنا. تسمى راند هذا المذهب *الأنويّة*.

ليست أنوية راند هي ما يسميه الناس الأثرة (ولو أنها ساوت بينهما في عنوان كتابها *فضيلة الأثرة* إرادة لإخراج قرائها من إيثارهم). ليست الأنوية أن تسرق أو تحتال أو تؤذي أو حتى أن تتجاهل الآخرين. هذه التصرفات ليست موافقة للمصلحة الذاتية العقلانية طويلة المدى؛ لكي نعيش حياتنا بشراً كاملين لا بد لنا من التعاون ومن الاستفادة من خبرات الآخرين، وهذه التصرفات ليست طرقاً صالحة لهذا. كذلك لا بد من التفريق بين الأنوية والهيديونية (مذهب اللذة) – أي السعي للمتعة اللحظية دون نظر في العواقب. تركز الأنوية على متطلبات الحياة البشرية طويلة المدى.

التعامل مع الآخرين

نعم، قد يكون الأنويون مهتمين بأنفسهم، لكن هذا لا يعني أن بينهم صراعاً دائماً. يدرك العقلاء أن هذا الصراع مدمر.

وليس علينا أن نحارب الناس أو نسرقهم لنكتسب شيئاً منهم. يمكننا أن نتاجر معهم – بحرية وإرادة من الطرفين، فنعطيهما شيئاً منا مقابل شيءٍ منهم نراه أكبر قيمة. وهذه التجارة تفيد الطرفين.

ليس علينا أن نضحى لكي نمنع الآخرين، كما تقول الأخلاق الإيثاريين. ليست تضحية أن تتخلى عن شيء ذي قيمة أدنى من أجل شيء ذي قيمة أعلى، وهو ما نفعله عند التجارة. ليس علينا أن نضر أنفسنا مادياً لكي نكون صالحين أخلاقياً، كما تقول أخلاق التضحية بالنفس. إن الفضلاء أخلاقياً عند راند هم الأنويون الذين يعون العواقب طويلة المدى لأفعالهم ولكنهم لا يعيشون من أجل الآخرين ولا يطلبون تضحية من أحد.

خطيئة إنكار النفس

ترى راند أن الأنظمة الأخلاقية التقليدية تعني جعل الإنسان نفسه في خدمة سلطة «أعلى»، كالله أو «المجتمع» أو «الآخرين». ولكنك لن تتوقع أن تحافظ على حياتك إذا كنت تسعى إلى هدف «أعلى» من الحياة نفسها. حياتك هي القيمة المطلقة، والتخلي عنها من أجل أي شيء ليس مجرد تضحية بالنفس، بل وإنكار للنفس وتدمير لها.

هذا وإن القيمة منتج العقل، والتخلي عن القيمة تخلص عن العقل – تخل عن المعرفة والحكم والذهن. إذا قيل لنا إن «واجبنا الأخلاقي» يتطلب أن نتخلى عن عقولنا، فإن راند تحذرننا أن شيئاً ما خاطئ، لأن العقل هو أدواتنا الأساسية للبقاء، ولا يمكننا العيش من دونه.

شر الإيثار

لكن هذا هو ما تطلبه أخلاق الإيثار منا. إنها تشجعنا أن نعيش لمنفعة الآخرين، وتمدح التضحية بالنفس، وترفض خدمة النفس وتجعلها خروجًا عن الأخلاق. هذا القول جزء من كثير من أديان العالم ويقبله معظم الناس بوصفه الطريقة «الصحيحة» للعيش.

في الإيثار، يصبح معيار الأخلاق غير قائم على قيمة الفعل نفسه، بل على هوية المستفيد منه. فخدمة الآخرين خير، وخدمة النفس شر. ولكننا إذا اتبعنا هذا القول، لم يعد في نظرنا فرق بين مجرمي العصابات ورجال الأعمال، في رأي راند. كلاهما شرير لأنهم يهتمون بأنفسهم. لكن العصابات تستغل الآخرين بالقوة والعنف أما رجال الأعمال فيغنون الآخرين بالتجارة الطوعية. ليس بين الفئتين تساوي أخلاقي مطلقًا.

ولا تخطط الإيثار بحسن الخلق، أو النية الصالحة أو احترام الآخرين. إن هدف الإيثار -وهو التضحية بالنفس- لا يعني إلا إنكار النفس. إن الإيثار يجعل «الأخلاق» عدو الجميع، لأن هذه «الأخلاق» تريد أن تعمل ضد مصالح نفسك. يجعلنا هذا ننظر إلى الناس لا بصلاح نية بل بحقد وضغينة.

وتلاحظ راند أن وضعنا الثقافي يظهر أن أخلاق الإيثار الشائعة لم تعزز الرحمة والاحترام. يشجع الإيثار الناس أن يفترسوا غيرهم من الناس، وأن يعيشوا على حساب غيرهم، وأن يبالغوا في حاجاتهم ولا يسعوا إلى النجاح. إن الثروة التي ينشئها الأفراد الديناميكيون -من دون تكلفة أحدٍ شيئًا- مكروهة بحجة أنها علامة على أثره أصحابها. ليس منطق الإيثار أن الثروة يجب توزيعها، بل أن الثروة شر ويجب تدميرها.

يحاول الإيثار إذن أن يسوّغ أفعالاً هي في حقيقتها مدمرة وغير أخلاقية. ولا تنجح محاولته في كبت الحفاظ على النفس وفرض التضحية بالنفس إلا باستعمال شر آخر هو العنف الإكراهي.

أخلاق الأزمات

لكن راند تقول إن مساعدة المرء لمن يحبهم ليست تضحية. فإذا أصاب السرطان زوجة رجل مثلاً، دفع بإرادته ثمن علاجها الطبي وأخذ من وقته ليعتني بها، لأنها قيمة مهمة له. هذا الأمر متسق اتساقاً تاماً مع الأنوية.

لكن الخطأ أن تضحي بنفسك، أو تخاطر بها مخاطرة كبيرة، من أجل غريب. لا يدل هذا إلا على أنك ترى قيمة حياتك ومعرفتك وعقلك أدنى من قيمة حياة هذا الغريب وعقله ومعرفته. لا مشكلة في حسن الخلق مع الغرباء، ومن الأخلاقي تماماً أن تساعد في الطوارئ. ولكن يجب ألا تنقصك هذه المساعدة ولا تضعك في خطر كبير.

ولا بد أن يكون الظرف هنا طارئاً فعلاً. أي أن يكون صاحبه غير متوقع له ولا مختار. وإلا فإن مساعدتنا لن تشجعه إلا على مزيد من التهور. ويجب أن تكون المشكلة محدودة الوقت. ليس علينا أن نقدم لأحد دعماً مستمراً، كما تفعل أنظمة الرعاية الاجتماعية الحكومية. لا يشجع هذا الأمر إلا على التواكل، مع ما يتطلبه من تضحية مستمرة من الآخرين.

أهمية المبدأ

لذلك ترى راند أن المستفيد من الفعل الأخلاقي هو فاعله لا غيره. إن علينا أن نتصرف حسب مصلحتنا العقلانية، وأن نتوقع من غيرنا الأمر نفسه. هذا الأمر الوحيد الذي يوافق طبيعتنا البشرية ويرجح أن يعزز بقاءنا بوصفنا أناسًا كاملي الإنسانية.

يجعل العقل الناس فريدين في قدرتهم على التفكير والتخطيط لحياتهم – بل وما بعد حياتهم. ولكي نقدم لأنفسنا أكبر فائدة، لا بد أن نفكر ونتصرف على المدى الطويل، لا من أجل اللحظة فقط.

هذا هو ما نسميه /المبدأ/. قد تخرجنا كذبة من ورطة، ولكن قيمنا الأساسية لا يخدمها الكذب عند الحاجة، تحذّر راند: إن هذا الكذب يشبك شبكة معقدة من الخداع والدمار. لا بد أن تخدم تصرفاتنا أهدافنا طويلة المدى خدمة متسقة. بمعنى: لا بد أن نحترم المبادئ في تصرفاتنا.

قد يصعب تعريف المبادئ الأخلاقية. فعلى سبيل المثال، قد يكون الفعل غير أخلاقي في بعض السياقات وأخلاقياً في غيرها. ليس «كذباً» أن تكذب على سارقك بشأن مكان أموالك. إن انتهاكهم لحقوقك يعني أن مفهوم الصدق لا ينطبق في هذه الحالة. ولكن إذا استطعنا أن ننظم مبادئنا في إطار متسق وواعٍ بالسياق – أي في نظام أخلاقي – فإننا نمح أنفسنا دليلاً عن مفاهيمنا عن الصواب والخطأ، يساعدنا على التصرف حسب مصالحنا طويلة المدى.

ثلاث قيم أساسية

إن معيار القيمة الأخلاقية عند كل فرد إذن، هو حياته الإنسانية الكاملة – أي حياته من حيث هو كائن عقلاني، حسب رأي راند، إذ إن العقل هو جوهر مفهوم «الإنسانية». /العقل إذن، قيمة أساسية.

يقتضي هذا بدوره أن يكون للفرد هدف: معرفة الفرد لنفسه وقيمه طويلة المدى. ويقتضي تحديد الإنسان لقيمه تحديداً واضحاً وترتيبه لها ترتيباً يعكس أهميتها النسبية. إن الهدف يجعلنا نركز على المهم، ويريحنا من البحث المستمر والقلق والنزاع والانحراف.

لكي تحافظ على حياتك، لا بد أيضاً يكون عندك تقدير للنفس. لا بد أن تقدر أنك قادر على التفكير ومستحق للحياة والسعادة. يجب أن تكون قادراً على احترام أحكام عقلك بشأن الواقع والحقيقة، وأن تكون واثقاً في تأكيدها.

الفضائل الموضوعية

كل شيء في أخلاق راند الموضوعية ينشأ من القيم الرئيسة الثلاث: العقل والهدف وتقدير النفس. تقتضي هذه القيم التزاماً كلياً بالواقع، وجعله فوق كل شيء. وتقتضي وجوب النظر العقلي في قيمنا وأهدافنا ورغباتنا وحتى مشاعرنا. وتقتضي أن نقبل تحمل مسؤولية أفعالنا. ليس في الوجود كائن فوق الطبيعة أو قوة صوفية نلومها على أخطائنا أو ننتظر أن تصححها لنا.

الفضائل عند راند هي التصرفات العملية التي نحقق بها قيمة. ولكي تحقق تصرفاتنا قيمة، لا بد أن تكون عقلانية. لا شك أن أكبر خطيئة –والخطيئة هي ما يدمر القيمة– هي إنكار الواقع والعقل.

لا تُكافأ الفضيلة دائماً، وقد يخطئ المرء في اختيار التصرف الصحيح. وقد يعرقل الآخرون جهودنا، وقد تغلبنا الظروف. ولكن التصرف العقلاني المستمر ينفعنا على المدى الطويل عمومًا.

الفضائل الأساسية

إن قيم العقل والهدف وتقدير النفس عند راند، لكل واحدة منها فضيلة مقابلة، هي الطريقة التي نحققها بها.

فعلى سبيل المثال، تقول راند إننا نحقق قيمة العقل بفضيلة *العقلانية* -أن يكون المرء عقلانياً دائماً ويقبل العقل مصدره الوحيد للمعرفة، ومقياسه للقيمة، ودليله للتصرف العملي. هذه الفضيلة تتطلب فعل الإرادة الحرة، إذ تقتضي أن يختار المرء استخدام عقله، وأن يختار تركيز ذهنه على ما هو صواب، وألا ينحرف عنه ولا يحاول تجنبه.

يقتضي هذا بدوره فضيلة *الاستقلال* - أن يقبل المرء مسؤولية تشكيل أحكامه بنفسه وعيشه بحسبها. ويقتضي أيضاً فضيلة أخرى، هي *الثبات* - ألا يضحى المرء بقناعاته من أجل آمنيات الآخرين وآرائهم. ويقتضي *الصدق* - ألا يحاول المرء تزوير الواقع. ويقتضي *العدل* - إعطاء الحق، وعدم طلب غيره، وقبول المرء لعواقب أفعاله.

أما قيمة الهدف، فتقول راند إننا نحققها بفضيلة *الإنتاجية*. يبدأ هذا بإدراك أن الحفاظ على النفس يتطلب العمل المنتج، ولا يكفي أن نعتمد على البيئة المحيطة كالحيوانات، بل لا بد من تشكيل حاجاتنا وقيمنا. ولا تختزل الإنتاجية بالعمل في أي وظيفة لا أهمية لها: بل تعني السعي إلى أفضل استثمار منتج لعقلك في نطاق

قدرتك. وتحذر راند من أن قلة استخدامك لعقلك، تحكم عليك بالتراجع. يجب أن تختار العمل من أجل تحقيق قيمك. إن خسارتك لحماستك للعمل الإنتاجي تعني خيانتك لقيمك وحياتك.

أما تقدير النفس، فيتحقق بفضيلة الكبرياء – أن تدرك أنك أنت أعلى قيمة لنفسك، وأن هذه القيمة لا بد أن تُكسب مثل غيرها. يقتضي هذا وجوب بناء الشخصية، واكتساب إحساس بالاستحقاق، وتشكيل النفس على مثال أخلاقي، ورفض التضحية بالنفس من أجل الآخرين.

مكافأة الفضيلة

إن مكافأة الفضيلة هي السعادة. ولكن مرة أخرى، يجب التفريق بين السعادة طويلة المدى والمتعة العابرة. إن الخلط بينهما خلط بين مفهومين مختلفين اختلافًا كبيرًا.

يتمتعنا اكتساب القيمة، كما تؤلنا خسارتها. هذه المشاعر دليل نافع على مصالحتنا اللحظية، في رأي راند، ولكنها ليست بالضرورة دليلًا يمكن الاعتماد عليه على المدى الطويل. قد يتمتعنا السكر أو المخدرات أو الدعارة مؤقتًا، ولكننا إذا انغمسنا فيها مدة طويلة، لم نكتسب منها إلا الأذى.

لذا فإن علينا أن نفكر موضوعيًا في مصلحتنا على المدى الطويل، وأن نختار اختيارات عقلانية على هذا الأساس الصلب. إن علينا أن نتأكد أن مفاهيمنا متسقة ومؤسسة على الواقع، وأن أفعالنا موافقة لهذه المفاهيم – في هذه الحالة، أنها موافقة لمصلحتنا على المدى الطويل. قد لا تصيب إجابتنا دائمًا، ولكننا إذا تعلمنا التفكير بهذه الطريقة، واعتمدنا عليه، فإن فرصنا أفضل بكثير.

السعادة الحقيقية عند راند، هي حالة من الابتهاج غير المتناقض - الابتهاج الذي لا يخالف أي قيمة من قيمنا. لا متعة النزوة العابرة، بل ابتهاج تحقيق القيم الحقيقية الموافقة للواقع وللطبيعة الإنسانية. إن هذه المتعة هي هدفنا من الحياة الأخلاقية، وهي مكافأتنا على التفكير الموضوعي والفعل الأخلاقي المعتمد عليه.

شر الإكراه

يستطيع الأنويون تحقيق قيمهم وسعاداتهم دون نزاع بالتعاون السلمي. ولكن ماذا يحدث عندما يختلف الناس؟

ترى راند أنه لا بأس في أن نناقش الذين نختلف معهم، أو أن نحاول إقناعهم، أو أن ننفصل عنهم إذا لم نستطع أن نتفق. ولكن من الشر أن نكرهم على موافقة آرائنا - أن نكرهم على قبول استنتاجاتنا ورفض أحكامهم. يكبت هذا الفعل استعمال الناس لعقولهم ومن ثم قدرتهم على الحياة. إن الأذهان العقلانية عند راند لا يمكن أن تعمل تحت الإكراه - لذلك كانت أكثر الفترات حرية في التاريخ أكثرها إنتاجية أيضاً. يجعل الإكراه الوحوش مكان المبدعين، والوحوش الأسوأ مكان الوحوش.

والإكراه أيضاً هجوم على القيمة في رأي راند. القيم حقائق يحكم بها العقل المنطقي. إذا لم نستطع أن تفكر، لن نستطيع أن نعرف قيمة الأشياء. القيمة بالإكراه ليست قيمة حقيقية: لا يمكن أن يكون الإكراه أخلاقياً.

تقصد راند بالإكراه هنا الابتداء بالعنف الجسمي. قد يكون سبب العنف الغضب أو الإكراه الصامت أو الاحتيال المدروس. لا بد أن يرفض العقل العقلاني كل هذه الأنواع.

أما الدفاع عن النفس -الاقتصاص في وجه العنف- فهو أخلاقي تماماً. إن المبتدئين بالعنف يرفضون الحجة العقلية. إن الإجابة الوحيدة للعنف هي العنف القصاصي.

لكن القصاص قد يخرج عن السيطرة. قد ترد الضحية بعنف أكبر مما تلقتة بكثير، بل قد تلوم إنساناً غير مذنب على أذاها. لا يزيد هذا الأمر الضرر إلا تضاعفاً. نحن محتاجون إلى وكالة نزيهة تنظر في الجرائم وتصدر القيود المناسبة عند استحقاقها. وهذه هي وظيفة السياسة.

إن مبادئ التنظيم الاجتماعي، بحسب راند، ثمرة مبادئنا الأخلاقية التي تركز بالطبع على معرفتنا والواقع الذي يشكلها. الفلسفة السليمة ضرورية لوجود سياسة واقتصاد سليمين.

المبادئ السياسية العقلانية

ترتكز سياسة راند على الحقوق، أي الروابط بين أفعالنا الشخصية والاجتماعية، التي تضع الأفعال الاجتماعية تحت سطوة القانون الأخلاقي.

الحقوق مبادئ أخلاقية تحدد آلية تصرف الأفراد بحرية دون الحاجة إلى إذن أي شخص. لا تلزم الحقوق الآخرين بفعل أي شيء سوى احترامها: لا يمكننا أن ننتهك حقوق شخص ما أخلاقياً.

وفقاً لرانند، تنبثق الحقوق عن طبيعتنا بصفتنا بشراً، فبقاؤنا نحن البشر يقتضي وجود هذه الحقوق. الحياة هي أسمى قيمنا ومعاييرنا الأخلاقي، ولذلك فإن الحق في الحياة هو أبسط حقوقنا، وبدونه لن نكون موجودين.

ولكن ثمة حقوقاً أخرى أيضاً، فإن أردنا أن نبقى على قيد الحياة ونزدهر على المدى الطويل بصفتنا كائنات بشرية حقيقية، علينا أن نكون قادرين على التفكير، وامتلاك القيم، والحكم على الأشياء، واتخاذ القرارات والتصرف دائماً وفقاً لها، والحفاظ على دوافعنا ومنظورنا – دون أن يقف الآخرون في وجهنا. وبحسب رأي

راند، هذا يعني وجود حق آخر ضمني، وهو الحق في الحرية - الحق في أن نختار التفكير والتصرف وفقاً لتقديرنا.

وهذا يعني ضمناً وجود الحق في الملكية - الحق في الحصول على الأشياء المادية التي نرغب بها، والاحتفاظ بها، واستخدامها، والتخلص منها. إنه بالطبع جزء من طبيعتنا: نحن لا نبقى لأننا نعتمد في حياتنا على بيئتنا وحسب، ولكن من خلال تغييرها باستخدام التكنولوجيا مثل الزراعة والتصنيع. ولكي نبقى علينا أن نكون أحراراً في تطويرنا لهذه التكنولوجيا، بالإضافة إلى استخدام السلع المادية التي ننتجها. إن القيود على الحقوق في الملكية هي قيود على الحياة بأكملها.

ما ليست الحقوق عليه

تؤكد راند أن الحقوق ليست أمراً يمنحه «المجتمع» لنا، بل إنها تحميها من المجتمع. لا ينبغي علينا أن «ندفع» مقابل حقوقنا من خلال «رد الجميل»، فضلاً عن أن حقوقنا لا تخول لنا أن نأخذ أي شيء من الآخرين. ما من «حقوق» للحصول على وظيفة أو منزل أو تعليم أو علاج طبي أو إعانات اجتماعية مثلاً، لأن هذه الأمور تقتضي أن يوفرها الآخرون أو يدفعوا تكاليفها.

الحقوق مخصصة للأفراد وحسب؛ فالمجموعات ليس لها أي حقوق. يمتلك الأفراد استقلاليةً، فهم ليسوا مجرد جزء من مجموعة ما. لا تمتلك أي «جماعة» حقوقاً على عقولها أو جهودها أو منتجاتها. ولو كان الأمر كذلك، ما امتلكوا ما تحتاجون إليه للبقاء على قيد الحياة بصفتهم كائنات مستقلة. (فضلاً عن أن الأمر غير مجدٍ، فالعقول الحرة والمستقلة والمفكرة هي وحدها التي يمكنها أن تكون منتجةً - ولهذا

السبب دائماً ما تفشل الجماعية بحسب راند). ولكن احترام حقوق الآخرين في العيش والتفكير والإنتاج يعود بالفائدة علينا جميعاً، لأنه يعزز وجود اقتصاد ومجتمع مبدعين ومتقدمين.

دور الدولة

قد تنتهك الحقوق عند البدء باستخدام القوة، وأما الحل الوحيد لهذه المشكلة، كما ذكرنا سابقاً، فهو القوة الانتقامية. ولكننا لا يمكن أن نحمل الضحايا مسؤولية هذا الأمر ببساطة، فمن المحتمل أن يلوموا الشخص الخطأ أو أن يردوا بمزيد من العنف. ولهذا السبب، تقول راند، نوافق بدلاً من ذلك على التخلي عن استخدامنا الشخصي للقوة ونمنح حق احتكار القوة لهيئة مستقلة قادرة على حماية حقوقنا من خلال العدالة الموضوعية – تستخدم القوة بشكل نزيه ومدرّس ضد المخالفين، ونطلق عليه اسم الدولة.

تقتضي مهمة تحقيق العدالة الموضوعية أن تتبع الدولة مبادئ واضحة وموضوعية. ينبغي وضع قواعد/إثبات موضوعية مثلاً، لكي تحدد مدى الانتهاك الذي يتعرض له شخص ما في حقوقه والطرف المسؤول عن هذا الانتهاك. يجب أن تحظر/قوانين الموضوعية أفعالاً محددة (لا مفاهيم فضفاضة وغامضة مثل الفحش والتجديف وتقييد التجارة، بحسب رأي راند)، وينبغي أيضاً وضع قواعد موضوعية بخصوص العقوبات المناسبة. تساعد هذه القواعد في ردع العنف دون اللجوء إلى استخدام القوة المفرطة أو المضللة.

إن جزءاً من مسؤوليات الدولة في مجال العدالة متعلق بإنفاذ العقود. تؤكد راند أن البشر ليسوا حيوانات منعزلة، ولا حيوانات اجتماعية، بل حيوانات تعاقدية. نحن نخطط على المدى البعيد، ونعقد اتفاقيات مع الآخرين لكي نحقق أهدافنا من خلال التعاونات والتجارة. ولكن ينبغي أن تفي الناس بوعودها لكي ينجح هذا الأمر - وينبغي أن يجبروا على ذلك إن تطلب الأمر. إننا نحتاج أيضاً إلى وسيلة لحل أي خلافات بخصوص الوعود، ولذلك نترك القرار للمحاكم بدلاً من أن يتشاجر الناس بسبب خلافات بسيطة.

حتمية تقييد الحكومات

تعتقد راند أن الدور المبرر الوحيد للحكومة هو حماية حقوقنا. لا يمكن تبرير أي من وظائف الدولة الأخرى ما لم يوافق عليها/الجميع بحرية، وذلك لأن كل ما يفرض على الشخص ينتهك حقوقه. ولذلك، لا تمتلك الدولة الحق في التدخل في حياة المواطنين الفكرية أو الأخلاقية، ولا يمكنها أن تطلب منهم أن يفكروا أو يتصرفوا بشكل معين. لا ينبغي أن تتدخل الدولة في الإنتاج أو التوزيع، ولا حتى تأمين الطرق أو الحداائق أو المستشفيات أو المدارس.

هذا ليس شكلاً من أشكال الديمقراطية، التي تقتضي أن تقرر الغالبية ما نفعله. لا تحكم الحكومة مواطنيها بل تمثلهم. وبالأحرى، تنطوي رؤية راند على وجود جمهورية تقوم على موافقة الأفراد الذين يشكلونها.

نحن نعطي الحكومات حق احتكار الإكراه لكي تحمي حقوقنا، ولكن قد تشكل الحكومات تهديداً أكبر على حقوقنا مقارنةً بالمجرمين، في حال أساءت

استخدام سلطاتها. ولذلك ينبغي تقييد الحكومات من أجل سلامتنا الشخصية. هذا هو الهدف من الدساتير: وضع قيود على كيفية استخدام الحكومة لحقها في احتكار القوة.

تستطيع حكومة مركزة ومقيدة كهذه أن تجنبنا مساوئ الضرائب أيضاً. تصر راند على أن الضرائب، أي الحرمان القسري من ممتلكاتنا، ليست سوى سرقة – ليس لأموالنا وحسب، ولكن لنتاج عقولنا أيضاً. وتؤكد راند أيضاً أنه يمكن جمع الأموال اللازمة للإنفاق على الوظائف الشرعية القليلة للدولة في المجتمع الحر طواعيةً.

فلسفات سياسية أخرى

كما رأينا سابقاً، ليس هناك «حق» في الحصول على وظيفة أو مسكن أو رفاهية. إن مساعدة الأفراد لبعضهم حين يفتقرون إلى هذه الأشياء أمر أخلاقي تماماً، ولكننا لا نستطيع إجبار أي شخص على فعل ذلك. ولهذا السبب، يبقى وجود ضمان تلقائي للأمن أمراً مستحيلاً.

تعتقد راند أن فكرة رفاهية الدولة تنبع من المفهوم الجماعي القائل إن كل فرد منا ليس سوى جزء من قبيلة لها أولوية علينا، وأن الحكومة تعرف مصلحة القبيلة وكيفية نشر مواردها، وأنها تمتلك «الحق» في الاستيلاء على هذه الموارد. ولكن ما من طريقة موضوعية لتحديد من «يستحق» الدعم القسري من الآخرين. ففي المجتمعات «الديمقراطية»، يتخذ القرار بحكم الأغلبية، الأمر الذي ينتهك بكل تأكيد حقوق الأقلية. لا ترى راند أي فارق بين هذا الأمر وحكم العصابات، حيث تسيطر أكبر العصابات وأكثرها وحشيةً.

تنتقد راند الأناركية أيضاً –الفكرة التي تقول إننا لسنا بحاجة إلى حكومة أساساً- التي تعتقد أنها تجعلنا نقع في مخالب المجرمين. لن نتمكن من التفكير والإنتاج إذا اضطررنا للعيش في خوف، وحمل السلاح، وتحصين منازلنا، وتشكيل عصابات لحمايتنا. إن وجود الدولة يعني ضمناً أنه ما من جدوى في الشروع باستخدام القوة، لأنه سيكون هناك رد فعل.

دعونا نتذكر أن حتى المواطنين العقلانيين والأخلاقين ما يزالون بحاجة إلى وجود قوانين موضوعية وأساليب لتسوية الخلافات البسيطة – أي أنهم بحاجة إلى حكومة.

إن المحافظين، من وجهة نظر راند، أعداء آخرون للحرية والعقل لأنهم يركزون في آرائهم السياسية إلى الإيمان والتقاليد. تعتقد راند أن الإيمان لا يمكنه أن يكون أساساً عقلياً للسياسة، فضلاً عن أن التقاليد ليست مرشداً أيضاً: التقليد السياسي في يومنا هذا هو الاشتراكية – وهو التقليد الذي لا يقول المحافظون إنهم يريدونه. وبحسب ما خلصت إليه راند، ليس لدى المحافظين مبادئ ولا نزاهة. هم ينادون بحقوقنا ولكنهم ينتهكونها من خلال سياسات مثل التجنيد الإلزامي. إنهم يدافعون عن الرأسمالية مستخدمين لغة الإيثار، ولذلك ينتهي بهم الأمر بالطبع باعتذارهم عن مثلهم.

ولكن ربما يكون أسوأ المجرمين السياسيين بالنسبة لRAND هم أولئك الذين ينادون باقتصاد مختلط، أي مزيجاً من الحريات والضوابط، إذ تقول راند إن هذا ليس «استغلال الأفضل من كلا الطرفين» بل تناقض صارخ. وعلى الرغم من تأييد كل من الاشتراكيين «الوسطيين» والمحافظين لهذا المزيج، إن السبب ببساطة يعود

إلى طمع كلا الطرفين بالسلطة: فالاشتراكيون يريدون السيطرة على الحياة الاقتصادية؛ والمحافظون يرغبون بالتحكم في الحياة الاجتماعية.

ولذلك ما من نظرية متماسكة تقوم عليها فكرة «الأسلوب الثالث»، وليس هناك أي مبادئ وراء قوانينها وأهدافها وسياساتها، فضلاً عن أنها لا تتماشى مع الحكومة المقيدة لأنها لا تضع أي حدود لتقييدها. إنها تضحي بالحقوق لصالح قيم قصيرة الأمد، وتعتمد على البراغماتية بدلاً من العقل لتحديد ما إذا كانت الحقوق تحترم أو تنتهك.

نظراً لعدم وجود مبادئ توجه الاقتصاد المختلط، تنشأ «حقوق» مزيفة مثل استحقاقات الرعاية الاجتماعية على حساب الأقليات، وتظهر الجماعات الضاغطة لانتزاع نصيبها من هذه السرقة القانونية، وتتشكل الضوابط التي ستزداد بسبب الحاجة إلى معالجة نتائجها المؤذية، وتتعرض جميع مصالح الناس للخطر. هذا ليس «أسلوباً ثالثاً»، كما تحذر راند، بل طريقاً يؤدي إلى الديكتاتورية.

اقتصاد عقلاني وأخلاقي

تصف راند /الاقتصاد بأنه العلم الذي يطبق المبادئ السياسية على الإنتاج. إن النظام الاقتصادي العقلاني، مثل النواحي الأخرى من النشاط البشري، ينبغي أن يكون متجذراً في المفاهيم الصحيحة حول طبيعتنا وطبيعة العالم. أما لكي يكون النظام الاقتصادي أخلاقياً فعليه أن يحترم الحقوق.

الرأسمالية باعتبارها النظام الأخلاقي الوحيد

إن النظام الوحيد الذي يجمع بين الصفتين، بحسب ما تزعم راند، هو النظام الرأسمالي القائم على مبدأ عدم التدخل – أي الرأسمالية دون أي تدخل حكومي. إن الرأسمالية هي النظام الوحيد الذي يحترم الحقوق الملكية للناس، ولذلك هو النظام الاقتصادي الأخلاقي الوحيد. بالإضافة إلى ذلك، إنه النظام الاجتماعي الأخلاقي الوحيد لأنه يحترم حقوق الناس وقيمهم. ولكن المجتمع الرأسمالي هو المجتمع الذي ما يزال مواطنوه يقدرّون الفن أو العلم أو الأدب أكثر من السلع المادية: هم من يحددون أولوياتهم، وليس سلطة ما.

في ظل الرأسمالية، يشق الناس طريقهم من خلال خلق قيمة يرغب فيها الآخرون ولا مانع لديهم من دفع ثمنها. ما من أحد مضطر لأن يضحي بحياته أو حريته أو ممتلكاته من أجل الآخرين. إنه نظام عادل يحكم فيه الآخرون على القيمة التي تخلقها، ويكافئونك وفقاً لذلك. إنه نظام لا يعاقب على الفضيلة ولا يكافئ الرذيلة من خلال فرض ضرائب على الأشخاص الذين يخلقون القيم أو دعم أولئك الذين لا يفعلون ذلك.

ومرة أخرى، لا يمكن أن يعيش الإنسان بالاعتماد على بيئته وحسب؛ علينا أن نخلق ما نحتاجه لكي نحيا، والرأسمالية تعطينا الحافز للقيام بذلك. فإذا أنتجنا قيمة ما، سيكافئنا الآخرون عليها. وبما أن لا أحد مجبر على أن يكون عميلاً لنا ونظراً لغياب القوانين التي تدعم الأشخاص متوسطي القدرة، علينا أن نكون منتجين فاعلين.

هذا ما يجعل الرأسمالية فعالة حقاً في إنتاج الثروة المادية. والدليل التاريخي على ذلك، بحسب ما توضحه راند، هو القوة التقدمية للرأسمالية: يزدهر الابتكار وتزداد الثروة حين يمتلك الناس حرية أكبر – كما كان الحال في عصر النهضة أو في عصر التجارة الحرة العظيم خلال القرن التاسع عشر مثلاً.

الفصل بين الدولة والاقتصاد

تعتقد راند أنه ينبغي علينا استئصال جميع المغريات التي تدفعنا إلى السماح للدولة بالتدخل لكي نحافظ على الرأسمالية وفوائدها. يجب أن يكون هناك فصل بين الاقتصاد والدولة، تماماً مثل الفصل الدستوري في الولايات المتحدة بين الكنيسة والدولة.

لا بد من وجود إطار قانوني لحماية الجميع من استخدام القوة ولضمان احترام العقود. ولكن فيما عدا ذلك، ينبغي ألا توضع أي قوانين أو أنظمة لتقييد الحياة الاقتصادية، وألا يوجد أي ضرائب أو إعانات، وألا يفسح المجال لمن يتولون مناصب في السلطة لاستغلال الآخرين أو تفضيل مجموعات معينة. هذا يعني أنه يجب أن يتعامل الناس مع بعضهم البعض وكأنهم تجار، يتبادلون قيمهم بمحض إرادتهم – وكأنهم أنداد لا أسياد وضحايا.

في ظل الاقتصاد القائم على مبدأ عدم التدخل يفسح المجال أمام الأسواق لتعزيز الكفاءة والقيمة. إن أسعار السوق، وفقاً لما تقوله راند، تعكس الأحكام الحرة والعقلانية للناس فيما يتعلق بقيمة المنتجات المختلفة بالنسبة لرأيهم. تشجع الأسواق مقدمي الخدمات على اختيار العمليات الأقل إهداراً والأكثر كفاءة لكي يقدموا أفضل

قيمة ممكنة للعملاء، وتكافئ الأسواق الأشخاص الذين يخططون للمستقبل ويبدعون ويخلقون أفضل المنتجات وأرخصها لجذب العملاء الراغبين في الحصول عليها.

وبناءً على ذلك، تعتبر الأسواق بمثابة عملية تعليم مستمرة ترشدنا إلى حيث نجد القيمة والكفاءة وكيف يمكننا القيام بذلك. والأشخاص الذين يتعلمون هذه الدروس ويتصرفون بعقلانية ويتخذون قرارات سليمةً يجنون ثمار نجاحهم. أما أولئك الذين يرفضونها ويتصرفون بطريقة غير عقلانية ويتخذون قرارات سيئةً فلن يجنوا أي فوائد. ولكنهم الخاسرون الوحيدون: ما من أحد مجبر على إنقاذهم أو دعم قدراتهم المتوسطة حين تكون الدولة منفصلةً عن الاقتصاد. الرأسمالية تشجع العقلانية.

خرافة السلطة الاحتكارية

تقول إحدى الأفكار الشائعة إن الرأسمالية تمكن الشركات القوية من استغلال العامة أو خلق الاحتكارات، مما لا يترك للعملاء أي خيار سوى قبول أسعارها المرتفعة وجودتها السيئة.

إن هذا ليس إلا تشويه مغالى فيه للرأسمالية وفقاً لرد راند. لن تستمر أي شركة تحاول استغلال العامة طويلاً، وفي هذا الوقت ستندفع الشركات الأخرى إلى تقديم منتجات أفضل وأرخص. وبالإضافة إلى ذلك، الاحتكارات ليست شائعةً ولا حتى دائمةً. قد تواجه حتى أكبر الشركات تحديات، فأسواق رأس المال تتيح رأس المال العالمي بأكمله للمنافسين. ويستطيع العملاء ببساطة أن يتحولوا إلى المنتجات البديلة

التي تخدم حاجاتهم ذاتها. لا يمكننا السيطرة على السوق الحرة إلا من خلال الاستمرار في تقديمنا للقيم الأفضل.

وفي واقع الأمر، السبب الأكثر شيوعاً للاحتكارات هي الحكومة – من خلال الإعانات والأنظمة التي تقضي على المنافسة، أو من خلال الإمدادات الحكومية الصريحة. من الطبيعي أن تنطوي الاحتكارات التي تحميها الدولة أو تديرها لربما على استغلال العملاء الذين يجدون أنفسهم أمام خيار واحد وحسب. قد يقول المنادون بالدولانية إن الشركات الحكومية مدارة «ديمقراطياً» تحقيقاً «لصالح العام» – ولكن تسخر راند من هذا الأمر لأنه في الحقيقة يحقق صالح العصابة الحاكمة وحسب.

تعترف راند بأن القوة الاقتصادية حقيقية، ولكنها ليست فريدة من نوعها. يتمتع بعض الناس بذكاء أو مستوى تعليمي أفضل من غيرهم، وهذا يمنحهم أفضلية اقتصادية بالنسبة لغيرهم. ولكن معرفتهم المتفوقة على الأقل ليست مسروقة من الآخرين، كما هو الحال بالنسبة للقوة الاقتصادية لاحتكار حكومي. وعلى أي حال، القوة الاقتصادية والسياسية مختلفتان عن بعضهما البعض تماماً. يمكننا الحصول على القوة الاقتصادية من خلال مكافأة الآخرين – وهو ما يريدونه. ولكن القوة السياسية لا تقدم لهم سوى العقوبات. أما فيما يتعلق بتحديد أيهما تمثل قوة شريرة، فهو أمر مفروغ منه.

ما يعنيه المال

تعتقد راند أن كثيراً من الناس يسيئون فهم المال. إنه بالنسبة لها أداة للتبادل – أداة لأولئك الذين يريدون أن يخلقوا قيمةً ويتداولونها. يقبل الناس المال وهم يعلمون أنهم قادرون على استبداله، في وقت ما في المستقبل، لقاء قيمة يخلقها الآخرون. إن وجود المال في حد ذاته يفترض ضمناً وجود قيمة للإنتاجية والصدق والعقل.

ترى راند أن عبارة «محبة المال أصل لكل الشرور» ظهرت في زمن أصبح فيه الناس أثرياء بسبب السلطة والقوة. ولكن في ظل الرأسمالية، يعتبر المال مكافأةً على الفكر، والإبداع، والابتكار، والإنتاج، وخلق القيم. إنه يسمح لنا بالحصول على ما يعتبره الناس عادلاً بالنسبة لمجهودنا. المال يتطلب جهداً، ولا يسرق من الآخرين. نحن نحصل عليه لقاء ما يطلبه الآخرون طوعاً مقابل إنجازنا الإبداعي. إنه أداة أخلاقية بكل معنى الكلمة.

ولكن المال لا يمنح قيمةً لأولئك الذين لا قيمة لهم. إنه يساعد الأشخاص الذين يفهمون كيفية استخدامه لتسهيل التبادل المثمر ولتحقيق أهدافهم. في حين أن أولئك الذين لا قيمة لهم ولا هدف أو الذين يحصلون على المال من خلال ارتكاب الجرائم أو استغلال سلطة الدولة فسيفسدهم المال. وأما أولئك الذين يعتذرون عن ثروتهم فلن يفلحوا في أمر سوى اجتذاب اللصوص الذين سيستخدمون سلطة الدولة لكي يستحوذوا عليها.

منتقدو الرأسمالية

ولكن ما أكثر الناس الذين يعتذرون عن ثروتهم وعن الرأسمالية في حد ذاتها. أصبح الإيثار مستشرياً لدرجة أن المدافعين عن الرأسمالية يشعرون بالحاجة إلى تصويرها

على أنها نظام إثاري، على الرغم من أن المفهومين متضادان: الرأسمالية تقوم على المصلحة الذاتية العقلانية، أما الإيثار فيركز على التضحية بالنفس (غير العقلانية).

لن يحقق رواد الأعمال أي نجاحات من خلال تظاهروهم بأنهم إثاريون. إنهم لا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم حين يصفهم النقاد بأنهم أنانيون. وعلى الرغم من أنه لا ينبغي أن يشعروا بأي ذنب حيال نظام يخلق القيم وينشرها من خلال اتفاق طوعي بالكامل، نراهم ينسحبون حرجاً.

تعتقد راند أن التبرير الأخلاقي للرأسمالية لا علاقة له بتقديمها لخدمات للعامة - على الرغم من أنها تخدم العامة بلا شك. تقوض الجماعات المناصرة للرأسمالية نفسها من خلال استخدامها لهذا النوع من الحجج. ما يبرر الرأسمالية حقاً هو أنها النظام الوحيد الذي يتوافق مع الأخلاق العلمية الموضوعية. الرأسمالية هي النظام الأخلاقي الوحيد في التاريخ. أما الإيثاريون فهم المستغلون الحقيقيون.

أوجه اللاعقلانية في البقاء على الوضع الراهن

ترد راند، على أي حال، بأن معظم الشرور المفترضة للشركات في الواقع سببها الحكومة. إن احتمالية تقديم الإعانات تفسد الشركات، فتمارس الشركات القائمة الضغوطات من أجل الدخول في المنافسة، مدمرةً بذلك الأنظمة التي تصعب الأمور بالنسبة للوافدين الصغار الجدد إلى السوق. وبالإضافة إلى ذلك، دائماً ما تحمل هذه الأنظمة في طياتها نتائج ضارة، ولكن غير متوقعة، فضلاً عن أنها تمنح السياسيين والمسؤولين صلاحية اتخاذ القرارات التعسفية.

يظن الاشتراكيون طبعاً أنه ينبغي إدارة الموارد تحقيقاً «للسالء العام». ولكن ما من أساس منطقي يمكننا بالاعتماد عليه أن نحدد ماهية «السالء العام». تتسبب إعادة التوزيع في نقل الموارد من الأشخاص الذين يخلقونها ويديرونها بشكل جيد إلى أولئك الذين لا يعرفون كيف يخلقونها أو يديرونها. وتعتقد راند أن الأمر الأشء خطورةً هو أن الاشتراكيين غفلوا عن ذكر أن الموارد الرئيسية ليست أشياءً ماديةً بل الأفراد في حد ذاتهم. ولذلك تنطوي الاشتراكية على السيطرة على الآخرين – الأمر الذي يتطلب حتماً تهديداً باستخدام القوة. إنه اعتداء على العقل والفكر والحكم: إنه يحرم الناس مما يحتاجونه لكي يقوموا بمهامهم بصفتهم كائنات بشرية عقلانية بالكامل. فلا عجب في أنها لم تنجح.

وأما فيما يتعلق بعبارة «من كل حسب قدرته إلى كل حسب حاجته»، فلا حدود «للحاجة». تحول هذه الفكرة الناس إلى متسولين وكذابين، وتشجعهم على المبالغة في بؤسهم للاستفادة من أي عملية لإعادة التوزيع، وتحثهم على إخفاء قوتهم حتى لا يستغلونها. لا شك في أن هذا الأمر مضر بازدهارنا، بل وبقائنا أيضاً.

طبقت راند فكرها الأخلاقي والسياسي على القضايا العامة في عصرها، في عدد كبير من المقالات والخطب، التي تشكل جزءاً كبيراً من إنتاجها الكتابي. وتشمل هذه القضايا الرعاية الصحية، والتعليم، والرعاية الاجتماعية، والثورات الطلابية في الستينيات، والعنصرية، وحماية البيئة، والنسوية، والحقوق المدنية، والقوانين المتعلقة بالمثلثية الجنسية وتعاطي المخدرات، والسياسة الخارجية، وحرب فيتنام والتجنيد العسكري، والإرهاب والجرائم «السياسية»، وقضايا اقتصادية مثل الحد الأدنى للأجور، والضرائب، والتخطيط، والطاقة والتضخم وغيرها الكثير. كانت آرائها حول كل منها قوية للغاية، ومن المثير للاهتمام النظر إلى بعضها لمعرفة كيف ساهمت فلسفتها في تشكيلها.

فقر التدريس التقدمي

فضلت راند منهج مونتييسوري، الذي يؤكد على الاستقلال والحرية -ضمن حدود عقلانية- واحترام النمو الطبيعي للطفل. وألقت باللوم في العديد من مشاكلنا الثقافية على حركة المدارس «التقدمية»، حيث يُطلب من الأطفال الذين يرغبون في التعلم اللعب عوضاً عنه. تكمن الفكرة في تعزيز مهاراتهم الاجتماعية، لكن كل ما يتعلمونه هو أن يكونوا جزءاً من الجماعة. وللأسف، إن بقية الجماعة غير مدربة بالمثل.

والمجحف بنفس القدر: يتعلم الطفل بسرعة أن ما يهم هو اليوم فقط، لأنه لا يمكنك التنبؤ بما ستفعله الجماعة غداً. لا فائدة من بناء أي شيء، لأن الآخرين سيسحقونه. والفضيلة الوحيدة هي نزوة الجماعة. فيتعلمون أن القيمة الوحيدة هي القدرة على التعامل مع الجماعة لتحقيق غاياتهم الخاصة.

لا يتعلق التدريس، حيثما يحدث، بنقل المعرفة. بل يركز على اللعب الخيالي – الذي ينفي الواقع. أو المناقشة الصفية – التي تعطي قيمة لما توافق عليه الجماعة. أو مهام الذاكرة بدلاً من الفهم (مثل تعلم شكل الكلمات الكاملة، بدلاً من الصوتيات) – التي تثقل عقول الأطفال بالمحددات دون مفاهيم تعلمها.

الكلية واستياء الطلاب

الأكثر بلادة ينسجمون. لكن العديد من الطلاب الأذكي يشعرون بالملل والإحباط، ويستسلمون ببساطة. فالأمل الأخير في أن يجعل شخصاً ما العالم مفهوماً لهم هو الكلية. لكن هنا، تقول راند، يعلمون بدلاً من ذلك أنه لا يمكن معرفة أي شيء، وأن الكلمات تعني ما نريدها أن تعنيه، وأن «الحقائق» هي مجرد آراء. لا يتم التدريس، مرةً أخرى، عن طريق المحاضرات التي توصل المعرفة، بل عن طريق المناقشات الصفية التي تطري الطلاب بأن آرائهم غير المطلعة جيدة مثل آراء أي خبير. لذا ما زالوا يفتقرون إلى المفاهيم الموضوعية لإرشادهم.

وتتابع راند بأن هذا يقود الطلاب إلى المطالبة بفصول «ذات صلة» أكثر. ولكن، لكونهم عالقين في المحددات ومفتقرين إلى المفاهيم المجردة الجيدة،

يعتقدون أن ذلك يعني فصولاً ذات الصلة باليوم، وليس فصولاً ذات الصلة بالحياة في الماضي والحاضر والمستقبل.

لذلك ليس مستغرباً أن تقاد الأغلبية، المرتبكة والمحبطة، بواسطة ناشطين أصحاب أجندة سياسية بسهولة.

اليسار القديم والجديد

لكن، تقول راند، هذه كانت الأجندة السياسية لليسار الجديد – وهو حركة سياسية نشأت في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، ولها جذور في الثورة الاجتماعية في أواخر الستينيات. وهو، حسب اعتقادها، يتنافى مع أفكار اليسار التقليدي أو القديم – ويتنافى بالمثل مع العقل.

لقد أوضحت أن اليساريين القدامى ادعوا أنهم من دعاة العقل والعلم – وإن كان بصورة خاطئة. اعتقدوا أن التنظيم الجماعي والتخطيط «العقلاني» سيحققان فوائد عامة. وأن الاشتراكية، بمصانعها وآلاتها الأكثر كفاءة، ستتفوق على الرأسمالية. وستفسح القوة الاقتصادية للرأسماليين المجال لإرادة الشعب في جميع أنحاء العالم.

ولكن بحلول نهاية الحرب العالمية الثانية، تحطم وهم الإنتاجية والنمو هذا. كان الغرب يتفوق بوضوح على الاتحاد السوفيتي، لدرجة أن الاتحاد السوفيتي اضطر إلى بناء جدار لإبقاء الناس في جانبه. لذا، بدلاً من ذلك، تتابع راند، حاول اليساريون القدامى إقناع الناس بأن الازدهار المادي غير ضروري لأن جماعتهم قدمت «أعلى» القيم. وقلة من اقنعوا.

وأصرت راند على أن اليساريين الجدد، على خلاف القدامى، لم يرغبوا في السيطرة على الإنتاج بل تدميره. وبدلاً من الوعد بالوفرة، احتقروا الرأسمالية لإنتاجها الوفير. لقد سعوا إلى «عودة البدائية»، زاعمين أن النمو الاقتصادي قد أضر ببيئة هشة، وأن القوانين تخنق الطبيعة البشرية، وأن المخدرات والتصوف الشرقي قد يوسعان وعينا.

وزعمت أن اليساريين الجدد كانوا غير مهتمين بوضوح برفاهية الإنسان، وإلا لكانوا تبنوا الطبيعة البشرية. أرادوا أن يكونوا متمردين لكنهم كانوا في الواقع المؤسسة الحاكمة – ما يعكس ببساطة وجهة النظر السائدة للإنسانية كقبيلة يتواجد أفرادها لبعضهم بعضاً. وهكذا اعتبر ازدهار البعض فقط غير عادل. لم يكن لديهم سوى العبارات المبتذلة والشعارات لدعمهم، لكن الفلسفة الغربية كانت (وما تزال) واهنةً للغاية لدرجة أنها، من الناحية الفكرية، كانت عاجزة عن المقاومة.

العنصرية بوصفها جماعية

إن الشكل الأكثر فظاظة لهذه القبلية الجماعية، رغم رفض اليساريين الجدد له، هو العنصرية. تقول راند إن العنصرية لا تحكم على الناس من أذهانهم وإنجازاتهم بل من أسلافهم. وتقترح أن القيم والشخصية تحدد عند الولادة، وتنحي السمة الأساسية للبشر – قدرتهم العقلانية.

العنصرية، كما تلاحظ، ترتفع وتنخفض مع الجماعية. كانت قوية في ألمانيا النازية، مثلاً، وفي أوائل الحقبة السوفيتية. وذلك لأن العنصرية تحتاج إلى سلطة الدولة للحفاظ عليها، في حين تقضي الرأسمالية على العنصرية. تعتبر الرأسمالية

كل شخص صاحب سيادة؛ فالأسواق تحكم عليهم من قدرتهم الإنتاجية فقط، وليس من خصائص أخرى غير ذات صلة. إن الرأسمالية هي التي قضت على العنصرية والعبودية. ففي الولايات المتحدة، استمرت العبودية لفترة أطول في الولايات غير الرأسمالية في الجنوب.

وفي المقابل، فاقمت دولة الرفاه والاقتصاد المختلط المشكلة. لقد ولدا صراعاً بين المجموعات، التي تتزاحم على مصالح الدولة: تحل الطائفية والعنصرية محل النزاهة، وتطالب الجماعات العرقية باحترام «إثنياتها» والحفاظ عليها ودعمها. لكن هذا يحكم عليهم وفق النسب ويجمد ثقافتهم بدلاً من تركها تتطور. إن هذه المطالب، تقول راند، معادية للعقل والحقوق والملكية.

حماية البيئة

تبنى اليسار الجديد حماية البيئة عمداً – لأنها، حسب ما تزعم راند، وكيل لمناهضة الرأسمالية. إنها تنم عن كراهية صريحة للإنتاج والإنجاز والعقل، وكذلك حياة الإنسان: فقبل التصنيع، كان متوسط العمر المتوقع قصيراً. يجب أن يستمر البشر في التقدم من أجل البقاء، لكن التنظيم البيئي يخنق الابتكار. ترى راند أن هذه القيود المفروضة على تكنولوجيا الإنتاج هجوم على العقل والحياة نفسها.

على أية حال، يعتبر دعاة حماية البيئة التقدم اعتداءً على الطبيعة. لكن راند تصر على أن دعواتهم لـ«ترك الطبيعة وشأنها» ليست راديكالية؛ بل محافظة بشدة. إنها تبجيل للوضع الراهن – مطلب الحفاظ على كل شيء ما عدا الإنسانية نفسها. ففي الطبيعة، يصعب الحصول على أساسيات الحياة البشرية حتى؛ أما في

ظل الرأسمالية، حتى الكماليات تأتي بسهولة. ستحل الثروة والتكنولوجيا، وليس السياسة، مشاكل التلوث. تعتقد راند أن الدافع الحقيقي للدعاة البيئيين هو كراهية الموهبة والنجاح والإنجاز البشري.

الحقوق المدنية

غير أن دفاع راند الشامل عن الحياة والحرية أوصلها إلى بعض الاستنتاجات حول الحقوق المدنية مثل اليسار الجديد. رأت أن الإجهاض حق أخلاقي للأمم، إذ لا يملك أحد حقوق في التصرف في جسدها، وإذ أن الإنسان المحتمل ليس إنساناً فعلياً.

عارضت تضحيات أمريكا بالنفس في حرب فيتنام، زاعمة أن أمريكا ليس لديها مصلحة وطنية في الحرب. وكتبت وتكلمت أيضاً ضد التجنيد العسكري. فقد شعرت أن هذا كان أعظم انتهاك لسلطة الدولة – التي أنشئت لحماية حقوق الناس. إن أبسط الحقوق هو الحق في الحياة، لكن التجنيد العسكري يتطلب أن يعرض الأفراد حياتهم للخطر، من أجل قضية قد لا يدعمونها حتى. يظهر التجنيد أن الحكومة تخلت عن دورها كحامية. ويروح بدلاً من ذلك للدولانية – فكرة أن حياتك تنتمي إلى الدولة للتصرف بها. وبالنسبة للحجة المضادة بأن «الحقوق تفرض التزامات»، تذكرنا راند بأنه لا يجب «دفع ثمن» الحقوق ولا تفرض أي التزام على أي شخص – ما عدا الالتزام على الآخرين، بما في ذلك الحكومات، باحترامها.

الجريمة والإرهاب

تعتقد راند أيضاً أنه من الخطأ تجريم الناس بسبب معتقداتهم وأنماط حياتهم. وتوضح أن الجريمة هي انتهاك لحقوق الآخرين بالقوة أو بالاحتيال. فلا تعد اختيارات نمط الحياة، مثل الممارسات الجنسية أو تعاطي المخدرات، جرائم لأنها لا تنطوي على استخدام القوة. ولا الأفكار. لا تستطيع حكومة شرعية معاقبة الناس على أفكارهم ومعتقداتهم: حرية التعبير حق.

وتصر راند على أن الشروع في استخدام القوة يظل جريمة، حتى لو كان مدفوعاً ببعض الأفكار السياسية. لذا يجب معاملة الإرهابيين على أنهم مجرمين، وليس كـ«منشقين» أو «سجناء سياسيين». بالنسبة لها، إنهم في الواقع أسوأ من المجرمين العاديين لأنهم يفسدون مفهوم الحقوق، ويطالبون بأن يُطلق عليهم لقب «المثاليين» الذين «تبرر» معتقداتهم الجريمة.

ولكن إذا كان الأمر كذلك، فما هي المعتقدات التي تبرر الجرائم؟ من الواضح أن هذه الفكرة برمتها تجذب الدولة والمحاكم لتقرير ما هي الأفكار السياسية المقبولة أو غير المقبولة – وهذا بحد ذاته استبدادي.

السياسة الاقتصادية

ترى راند أن تدخل الحكومة في الاقتصاد وسيلة أكيدة لإطلاق العنان لعواقب غير متوقعة وغير مرحب بها. فقوانين الحد الأدنى للأجور، مثلاً، لا تساعد الفقراء – وبالتأكيد لا تساعد الفقراء العاطلين عن العمل. بل إنها ترفع معدلات البطالة لأنها تحدد أجوراً أعلى من القيمة التي يكتسبها أصحاب العمل مقابل جهد الموظف.

وبالمثل، فإن فرض الضرائب على الأغنياء لا يحسن المساواة (لا يعني ذلك أن راند ترى في ذلك قيمة) ولكنه يقلل من الاستثمار وبالتالي يبطئ النمو الاقتصادي الذي من شأنه أن يرفع الجميع بارتفاع مده. في الواقع، إن ضرائب إعادة التوزيع تأخذ ببساطة الممتلكات من الأشخاص الذين يظهر نجاحهم أنهم قادرون على إدارتها بشكل جيد وتعطيها لآخرين يُظهر عدم نجاحهم المادي أنهم مديرون سيئون للموارد الثمينة.

لكن الأمر يزداد سوءاً. فإعادة التوزيع و «حق» الرفاه بالنسبة للأمن الاقتصادي هما شكلان من أعمال السخرة. تقول راند، إذا طلبنا من الناس أن يعملوا عدة ساعات في الأسبوع لصالح الدولة، فإننا نسميها عبودية. لكن عندما نأخذ ثمار عملهم كنقود، فإننا نسميها ضرائب. هل هناك فرق حقيقي؟

وتصر على أن اللوائح الغامضة هي نوع ضار بصفة خاصة من التدخل. ففي تشريعات المناهضة للاحتكار، مثلاً، لا يمكن تعريف ما يعتبر «هيمنة» في سوق ما تعريفاً واضحاً. لذا تعود القرارات إلى حكم المنظمين التعسفي. وهذا يشجع رأسمالية المحسوبية التي تحاول فيها جماعات الضغط والمصالح المكتسبة التأثير على القرارات لمصلحتهم الخاصة. لذا لا تستطيع الشركات التنبؤ إن كان المنظمون سيحكمون على الاندماج أو الاستحواذ، أو حتى نموها الطبيعي، بأنه غير قانوني. ولأنها لا تستطيع التخطيط للمستقبل، فإنها تفرط في الحذر، وتفقد الاستثمار المستقبلي والإنتاجية والقيمة.

السياسة الخارجية

تصر راند على أن الرأسمالية غير المقيدة هي أسرع طريق لازدهار جميع الفئات الاجتماعية. والأسس المحلية للرأسمالية هي حكومة أصغرية وقوانين أصغرية، وهي مصممة لحماية حقوق الناس في الحياة والحرية والملكية فحسب. وسياستها الخارجية هي التجارة الحرة – التعاون الدولي بين الأفراد والشركات الذين يتبادلون القيمة طوعية.

غالبًا ما يشهر بالرأسمالية لاستفادتها من الحرب، لكن راند ترد بأن هذا خطأ. الحروب تدمر رأس المال والثقة والتجارة. وتذكرنا أن الحكومات فحسب هي من تملك القوة لبدء الحروب، والحكومات فحسب هي من تستطيع إجبار المواطنين على القتال فيها. فرجال الأعمال لا يستطيعون.

تعتقد راند أنه يمكن تبرير الحرب – ولكن فقط للدفاع عن النفس. لكن وقتًا طويلاً قد مر منذ أن دافعنا عن القيم العقلانية وأنهينا الأسطورة السائدة بأن جميع الحكومات متكافئة أخلاقياً.

أظهر عدد الأنظمة الاستبدادية في الأمم المتحدة مدى تجذر فكرة التكافؤ الأخلاقي هذه. لقد أدى قبولها إلى تحويل نصف العالم إلى الشيوعية – وهي أيديولوجية جماعية لا تعطي أي قيمة للحقوق الفردية وهي، وفق التعريف، شريرة. هل من الصواب أخلاقياً حمل السلاح ضد مثل هذه الأنظمة الاستبدادية؟ بالتأكيد، هكذا اعتقدت راند – شريطة ألا يكون ذلك تضحية بالنفس بل لمواجهة تهديد حقيقي للنفس.

إن علم الجمال -أو نظرية الفن- جزء مهم أيضاً من نظرة راند للعالم. في حين ينظر علم الأخلاق إلى الخير في الأمور، يهتم علم الجمال في آلية تركيز الفنانين على المهم وتحويلهم الأفكار المجردة المعقدة إلى أشكال ملموسة يمكننا استقصاؤها بشكل مباشر.

وعلى النقيض من الرأي السائد، يمكننا أن نقيم الفن بشكل موضوعي. قد يبدو هذا الاستنتاج راديكالياً، بحسب ما تقول راند، لأنه لطالما سمعنا أن الفن «شخصي» و«عاطفي» وبالتالي لا يخضع للتحليل العلمي، ولكن السبب في ذلك هو فشل الناس في فهم وظيفة الفن. إن المشاعر التي يثيرها الفن، كما الحال مع كل أنواع المشاعر البشرية، موجودة لسبب ما: إنها مهمة لبقائنا على قيد الحياة. إن علم الجمال جدير بالدراسة العلمية تماماً كما علم الفيزياء أو علم الأحياء.

عملية الإبداع الفني

تشرح راند العملية الفنية. يسعى الفنانون -كالرسامين أو النحاتين أو الروائيين أو الشعراء أو الكتاب المسرحيين أو الراقصين أو الموسيقيين مثلاً- إلى إيصال رسالة مهمة، ويعزلون من خلال فنهم هذه العناصر الأساسية ويسلطون الضوء عليها، ويركزون على ما يعتقدونه مهماً متجاهلين ما يرونه غير مهم أو عرضي. على سبيل المثال، لن ينقل رسام البورتريه حين يرسم امرأةً أنيقةً قرحة الزكام التي يصادف

وجودها على شفتها في ذلك الوقت؛ فوجودها عرضي ولا علاقة له بما يريد الفنان إيصاله. (ولكن قد ينقل فنان آخر هذه القرحة لكي يلمح إلى عبثية الغرور البشري).

ومن خلال هذه العملية الانتقائية، يعيد الفنان خلق الواقع – لا يخلق واقعاً مزيفاً بل صورة أكثر وضوحاً لما يراه الفنان مهماً في ذلك الواقع. ومن المحتمل أن تكون هذه هي المعرفة: يمكن أن تجعلنا نفهم عالمنا بشكل أفضل أو أن تقدم لنا نموذجاً مفيداً نطمح إليه.

الدور الأساسي للفن

بالنظر إلى ما سبق، تعتقد راند أن الفن أساسي لبقائنا بصفتنا كائنات بشرية حقيقية. نحن نكتسب المعرفة من خلال تكويننا للمفاهيم. والعمل الفني قادر على دمج العديد من التجريدات العميقة والمعقدة المتعلقة بوجودنا في حد ذاته. وحين تصور هذه التجريدات بشكل ملموس، نتمكن من الحفاظ عليها راسخة في الواقع. وأما الشكل الملموس للفن فيساعدنا على اختبار هذه المفاهيم بشكل مباشر، ويسمح لنا برؤية الحقيقة الكاملة والمباشرة لهذه المفاهيم العميقة. تمنحنا الأعمال الفنية الفرصة للتأمل والتفكير في الواقع العميق وقيمه العميقة.

تعتقد راند أن الغرض الأساسي من الفن متمثل في إيصال الأشياء المهمة في نظر الفنان – نظرتة للعالم، أو إحساسه بالحياة، أو أفكاره أو أحكامه أو قيمه.

وهذا هو السبب، بحسب ما لاحظته، في أن تاريخ الفن مقياس للقيم الأساسية للحضارات التي أنتجته. ولذلك، صور فن النحت والأدب اليوناني القديم البشر على أنهم بطوليون وأقوياء وجميلون وواثقون من أنفسهم في الفترة التي ازدهر فيها

العلم والعقل، أما في العصور الوسطى التي نظر خلالها إلى البشر باعتبارهم خطأ
أشراً فصورهم الفن وكأنهم وحوش مشوهة.

تقول راند إن الهدف الجمالي، المتمثل في إبراز المفاهيم الهامة عن طريق إعادة
خلق الواقع، ينطبق على جميع الفنون – سواء أعجبنا العمل الفني أم لا. قد يعلمنا
عمل فني ما أمراً عميقاً من شأنه أن يغير حياتنا للأفضل، على الرغم من أننا لن نرغب
أبداً في تعليقه على حائطنا.

لا يفهم الهدف العقلاني للفن سوى قلة قليلة من النقاد الفنيين، فهم يعتقدون
أن الفن رمزي لا تفهمه سوى النخبة المثقفة. ولكن هذا من شأنه أن يشجع على إنتاج
المزيد والمزيد من «الفن الحديث» الذي لا معنى له ويزعم «الخبراء» أنه مهم – على
الرغم من عدم وجود أي أساس منطقي لهذه المزاعم.

الفن والحياة

الفن قادر على إثارة المشاعر القوية، وهو ما تعزوه راند إلى ما تسميه إحساسنا
بالحياة – وجهة نظرنا اللاواعية للحياة وما تعنيه الأشياء لنا. بينما نخوض حياتنا
ونواجه الاختيارات ونشكل الأحكام، نحن نطور مشاعر عامة حول الواقع والحياة.
وكما الحال بالنسبة للمفاهيم، إن الإحساس بالحياة عبارة عن مجموعة من
التجريدات التي تشكلت دون وعي وليس بتأثير من وعينا.

هذا ما يفسر مشاعرنا العميقة تجاه الفن. قد يكره بعض الناس مثلاً قرحة
الزكام في البورتريه ويعتبرونها إهانةً لمثلنا حول الجمال، في حين قد يمتدحها
آخرون على أنها استنكار عادل للغرور البشري. إن الإحساس بالحياة ليس عاطفةً

بالضبط، بل أشبه بأن يكون «إحساسًا» أو «شعورًا»، ولكن هذا لا يغير من كونه عفويًا وانفعاليًا وشخصيًا لأنه مرتبط بأكثر قيمنا عمقًا – الحياة في حد ذاتها.

بنية الفن

تعتقد راند أنه ينبغي أن ينطوي العمل الفني على ثلاث سمات رئيسية لكي يحقق هدفه الجمالي. أولاً، ينبغي أن يكون له موضوعًا – الرسالة التي ينقلها الفنان إلى الجمهور. إن الموضوع في لوحات الفنان الهولندي يوهانيس فيرمير، على سبيل المثال، متعلق بمعجزة الضوء.

وثانيًا، يجب أن يكون للعمل الفني مادة – ما يتحدث عنه العمل. قد تكون المادة بطولية أو منحرفة أو غير عقلانية أو عادية، فالأمر يعود لاختيار الفنان. إن مواد فيرمير (التي لا تعجب راند) مشاهد محلية متواضعة – على الرغم من أنها بالنسبة له مجرد وسيلة يطرح من خلالها موضوعه ببراعة.

أما أسلوب العمل فيعكس الإطار المفاهيمي الخاص بالفنان. إنه الشكل الملموس لكمية هائلة من التجريد. وفي حالة فيرمير، تعكس دقة أسلوبه مثل الوضوح والانضباط والإصرار.

الأشكال السليمة للفن

يمكن تحقيق الهدف من الفن، بحسب راند، من خلال عدة طرق. فالرسم مثلاً يستخدم الألوان ثنائية الأبعاد لكي يعيد خلق الواقع – فينقل لنا رسالته من خلال

الرؤية. أما الأدب فيعيد خلق الواقع باستخدام اللغة، والنحت يستخدم أغراضاً ثلاثية الأبعاد تنطوي على البصر واللمس.

أما الموسيقى، التي تستخدم الصوت والسمع، فمختلفة بعض الشيء. تتطلب الموسيقى عملية ذات مرحلتين: تلمسنا على مستوى إحساسنا اللاواعي بالحياة؛ ولكنها بعد ذلك تدفعنا إلى التفكير في المثل التي يحاول المؤلف الموسيقي إيصالها لنا من خلال استخدامنا لعقولنا. والأمر ذاته ينطبق على العمارة.

وفي الفنون المسرحية، مثل التمثيل والرقص، يلعب فنانو الأداء دور الوسطاء. على سبيل المثال، يحاول راقص الباليه نقل القوة والرشاقة، بينما يسعى الراقص النكري إلى نقل الدقة والوضوح.

الأشكال غير السليمة للفن

ترى راند أن هناك بعض الأشكال غير السليمة «للفن»، لأنها غير متوافقة مع الغرض الأساسي للفن، والمتمثل في نقل الإحساس بالحياة. إن التصوير الفوتوغرافي، كما تؤكد راند، ليس فناً – إنه مهارة تقنية وليس مهارة إبداعية. وأما «الفنون» الزخرفية ليست فناً أيضاً، بل تعتمد بشكل تام على الإحساس، ولا تنقل أي مثل مفاهيمية.

وعلى أي حال، تعتقد راند أن «الفن الحديث» يتعارض دائماً مع العقل – وبالتالي مع الوجود. تذكرنا راند أن الفن متعلق بالتواصل، فمن المحتمل أن يثير عمل «فني حديث» حواسنا ولكنه لن ينقل لنا أي شيء إن كان منمقاً لدرجة تجعله غير مفهوم، وبالتالي لا يمكن اعتباره فناً. إن اعتبار التأثير الحسي أهم من التواصل الفكري، في واقع الأمر، ليس سوى هجوماً على العقل في حد ذاته.

مبادئ الفن الأدبي

كانت راند باعتبارها روائية وكاتبة مسرحية مهتمة بمبادئ الكتابة الخيالية على وجه التحديد، إذ تقول إن الرواية تتطلب عنصرًا إضافيًا إلى جانب الموضوع والمادة والأسلوب. إنها تحتاج إلى التشخيص.

يحدد الموضوع الهدف من الرواية، وهو ما يعبر عن وجهة نظر المؤلف حول العالم. قد تكون وجهة النظر هذه واسعة النطاق (الموضوع في رواية حينما هز *أطلس* كتفيه التي كتبها راند يدور حول دور العقل في الوجود البشري) أو ضيقة النطاق (مثل موضوع رواية *ذهب مع الريح* الذي يتمحور حول دور الحرب الأهلية في تغيير الحياة في جنوب أمريكا). يتجلى الموضوع في سياق الأحداث - الواقع الذي يعيد الراوي خلقه هو ما يحدث للشخصيات وكيفية تفاعلها مع تلك الأحداث.

لا تحتوي الرواية على مادة بل على حبكة، والتي تطرح موضوع الرواية على شكل قصة من الأحداث والأفعال. ينبغي أن تتلاءم الحبكة مع الموضوع، وأن تجعله ينبض بالحياة في سياق من التطورات الهادفة للأحداث المتصلة مع بعضها البعض. لا يمكن أن تكون الحبكة عشوائية أو فارغة: ينبغي أن تسعى الشخصيات إلى تحقيق أهدافها، ويجب أن تكشف اختياراتهم هدف الكاتب.

أما التشخيص فهو صفات العناصر الفاعلة في القصة، إذ تظهر شخصياتهم ودوافعهم من خلال الأحداث والحوارات. ينبغي أن يتصرفوا بالتوافق مع شخصياتهم، ويجب أن يكون كلاً من التشخيص والحبكة والموضوع منسجمين مع بعضهم البعض.

وفيما يتعلق بأسلوب الرواية، فينبغي أن يعكس وجهة نظر المؤلف حول المعارف البشرية وكيفية جمعها. إن الأسلوب شخصي للغاية، فهو يكشف عن نوع الوظائف الذهنية التي تشعر الفنان بالراحة. قد ينطوي أسلوب الكاتب على طرح القصة بطريقة واقعية وحرفية للغاية، مثل روايات مايك هامر لكاتب الجريمة الأمريكي ميكى سبيلان. ومن الممكن أن يطرح الكاتب القصة بمزيج من العقل والعاطفة، كما هو الحال في رواية *البؤساء* للكاتب فيكتور هوغو. ومن المحتمل أن يطرح الكاتب عمله من خلال ردود أفعاله، كما هو الحال بالنسبة لأعمال الروائي الأمريكي توم وولف.

الرومانسية في الفن والأدب

يكتب مؤلفون رومانسيون، مثل فيكتور هوغو، روايات تتناسب مع فكرة راند حول الفن، على النقيض من روايات توماس وولف التي تقول راند إنها «فوضى من التجريدات العائمة، والعواطف البعيدة عن الواقع». وبحسب رأي راند، تعيد الحركة الرومانسية خلق الواقع على أساس الإرادة. أما عن سبب كون الفن الرومانسي حيويًا وتأثيره العميق علينا واتسامه بأنه مشحون أخلاقياً بالمقارنة مع الحركات الأخرى، فالسبب يعود إلى أنه بالتحديد يدرك أننا نمتلك إرادة حرة وأن خياراتنا وأحكامنا القيمية مهمة للغاية بالنسبة لنا ولمن حولنا، بالإضافة إلى أنه يسعى إلى إظهار هذه الحقيقة.

ولهذا السبب لا يركز الفن الرومانسي على الأمور العادية، ولا ينطوي على مجرد صورة منسوخة عن الحياة. إنه لا يرفض اختياراتنا أو يعتبرها وهمية، ولا يظن

أن أفعالنا تقف عاجزة أمام قوى لا يمكن إيقافها. إنه يركز على المشكلات والقيم الأساسية والكونية والمهمة في الحياة، وعلى كيفية وآلية التعامل معها. إنه يسعى إلى إبراز مثال أخلاقي: أن يبين لنا أن كيف يمكن للأشياء أن تكون وكيف ينبغي أن تكون - المكافئ الجمالي لعلم الأخلاق.

وللرومانسية تأثير عميق علينا، لأن القيم والخيارات الجوهرية التي تحركها تثير إحساسنا بالحياة. لاحظوا الأعمال المتطرفة في عاطفتها للفنانين الرومانسيين خلال القرن التاسع عشر، أولئك الذين جلبوا الألوان والخيال والإثارة والأصالة إلى الفن والأدب. إن أفضلهم، كفيكتور هوغو الذي تفضله راند، استخدم الشخصيات والأحداث بمهارة لتسليط الضوء على أصعب الخيارات التي نواجهها فيما يتعلق بحياتنا وقيمنا وأخلاقنا.

عيوب الفن المعاصر

تشكي راند من أن الأدب الحديث قد ابتعد عن الهدف من الفن وعن الأهمية الحاسمة للإرادة والقيم والعواطف. إنه يلمح دائماً إلى أن القوى الخارجية تطغى علينا بالإضافة إلى أننا عاجزون عن تحقيق أي شيء. ومن هنا يأتي عداء الكتاب المعاصرين الكبير تجاه الحكات المتناسكة، أو النهايات السعيدة، أو الانتصار، أو الجمال.

وتعتقد راند أيضاً أن الأدب الشعبي فاسد لأنه يركز على القيم الشائعة ولا يعلمنا شيئاً. إن أخلاقياته الفاسدة - أي الإيثار - تعني أنه ما من طريقة لأن تنكشف حبكة بشكل مقنع. وفي الوقت نفسه، تمتلئ الأفلام الشعبية بالشخصيات المألوفة

التي تتصرف بطرق غير عادية بشكل سخي، بالإضافة إلى أن التشخيص والحبكة فيها غير متسقان لدرجة تجعل أي هدف جمالي يضيع.

تؤكد راند أن الجمهور مهتم بالتصورات الرومانسية، مثل كتب جيمس بوند للمؤلف البريطاني إيان فليمينغ – ولكن ليس الأفلام اللاحقة التي تسخر من البطل. تقدم الرومانسية الحقيقية نموذجًا أخلاقيًا يساعدنا على تعزيز قيمنا الأساسية ومواجهة التحديات التي تظهر أمامنا.

إن الأطفال أيضًا بحاجة إلى مثل رومانسية لتطوير قيمهم، ولكن معظم ما يقرؤونه أو يرونه يخبرهم بأن يتسموا بالإيثار وأن يضحوا بأنفسهم – إن هذه الأخلاقيات مؤلمة حقًا. أما الأذكاء منهم، الذين يلاحظون التناقض، فيصلون إلى عدم تقدير أي شيء على الإطلاق. وبحسب راند، هذه هي الحالة المؤسفة لثقافتنا، التي تسبب بها الفن والأدب في عصرنا.

هدف أدب راند الخيالي

بالنسبة لـ راند، ربما تكون التعاسة، والأمراض، والكوارث أهلاً للدراسة، لكنها ليست مواضيع مناسبة للفن. فهي تعتقد أن الفن يجب أن يبرز شيئاً إيجابياً: أي ما ينبغي للأشياء أن تكون عليه.

كبشر، علينا أن نبذل جهداً لتأمين بقائنا الجسدي والعقلي. إذ علينا أن نكتشف الخصائص الشخصية المطلوبة لتغذية حياتنا النفسية. ويمكن للفن أن يساعدنا في ذلك، رغم أن قيمته لا يحددها ما نتعلمه بقدر ما تحددها حقيقة أن الفن يجعلنا نعيش مواضيع مهمة ونأملها. وهذا ما يجعل الفن قيمةً في ذاته.

كان هدف راند ذاتها في كتابة الأدب الخيالي عرض مفهوم الإنسان المثالي، وجعلنا نتأمل في هذا المفهوم: وذلك لتقدم لنا نموذجاً عن حياتنا، والشجاعة لفهمه. وقد امتلأ أدبها بأفكار كهذه.

نحن الأحياء

المبحث والموضوع. تناول مبحث رواية راند لعام 1936 (والمسرحية والفيلم اللاحقين بنفس الاسم) *نحن الأحياء* الفرد مقابل الدولة والقيمة الفائقة لحياة البشر. أما موضوعها -المستوحى من تجاربها الشخصية- فهو قسوة الحياة عندما دمرت الثورة الروسية القيم العقلانية.

الحبكة. تتناول *الحبكة* إيجاد امرأة شابة مستقلة التفكير (كيرا) شريكها الروحي (ليو). يحاول العاشقان الهروب من الحطام المتهالك لحياة بيتروغراد الخاضعة للحكم البلشفي، ولكنهما يفشلان. وبعد استسلامها لاستحالة الهروب، تلتقي كيرا مسؤولاً شيوعياً شاباً ذا تطلعات مثالية (أندريه) وتبدي له احتراماً يضمن حقاً دفيناً، فتحصل منه على مال تستخدمه لتأمين العلاج الطبي لليو الذي أصابه السقم. ولكن عندما تعود لليو عافيته، يكون قد فقد امتثاله للمثل العليا وصدقه. بينما يقدم أندريه، ممزقاً بين تناقضات أيديولوجيته الشيوعية والتعاسة التي تخلقها في واقع الأمر، على قتل نفسه. فتحاول كيرا بعد أن باتت وحيدة، وبعد أن خسرت كل شيء تثمنه، الهرب مرة أخرى، ولكنها تلقى حتفها أثناء المحاولة.

بناء الشخصيات. من حيث بناء *الشخصيات*، ربما كانت هذه أنجح روايات راند. فهناك عمق في الشخصيات يخلق صعوبة في الخيارات العميقة الشخصية والسياسية التي يواجهها الأفراد عندما تتلاعب الأيديولوجية المنحرفة التي تفرضها سلطة الدولة بالقيم العقلانية. بلا شك، فإن طبيعة الكتاب الشبيهة بالسير الذاتية قد ساعدت راند على رسم هذه الأحداث والشخصيات. فكيرا، مثل الكاتبة، امرأة عصامية، تعتمد على ذاتها وتؤمن بالفردية، تعيش في بيتروغراد أيام الثورة – مع أن راند، على عكس كيرا، استطاعت الهرب.

الأسلوب. *أسلوب* الرواية كأسلوب رواية رومانسية فلسفية، وهو شكل شائع في روسيا وأوروبا ولكن ليس في أمريكا، وذلك أحد أسباب معاناة راند في إيجاد ناشر في الولايات المتحدة. تتناقش الشخصيات، وتسلط خياراتهم وأفعالهم الضوء على تناقضات الشيوعية والقوة العنيفة التي يحتاجها الإبقاء عليها.

وهذا، أيضاً، لم يلق استحساناً في أمريكا ثلاثينيات القرن العشرين. ولكن مبيعات الكتاب نجحت في أوروبا وفي عام 1942 تحول (دون الحصول على موافقتها) إلى فيلم إيطالي من جزئين («نوي فيفي - نحن الأحياء»، و«أديو، كيرا - وداعاً كيرا»). ولشدة فعالية هذين الفيلمين في إيصال رسالتهما المناهضة للدولة، فقد سحبتهما الحكومة الإيطالية، يقودها الديكتاتور بينيتو موسوليني، من التوزيع بعد إطلاقهما بوقت قليل. وقد أعيد نشرهما في ثمانينيات القرن العشرين، بعد وفاة راند.

نشيد

لنفس الأسباب الثقافية التي جعلت نحن الأحياء إشكاليةً للناشرين الأمريكيين، فقد نشرت رواية راند القصيرة نشيد، المكتوبة عام 1937، لأول مرة في المملكة المتحدة. اشتكى أحد الناشرين المحتملين في الولايات المتحدة من أن راند «لم تكن تفهم الاشتراكية» - وهو أمر عجيب لكاتبة عاشت الثورة الروسية ويشير إلى النظرة الوردية لتخطيط الدولة بين مفكري الولايات المتحدة في ثلاثينيات القرن العشرين.

المبحث والموضوع. مبحث الكتاب، حسب راند، هو معنى الأنا البشرية. وموضوعه الهروب من عالم كابوسي يغرق فيه الناس في الدولة - حيث تستبدل «أنا» بـ«نحن». كانت راند تريد أصلاً تسمية الكتاب *الأنا* ولكنها خشيت أن يفصح ذلك الحبكة.

الحبكة. اعتقدت راند أن نشيد كان لها قصة، لا حبكة. وهي تتمحور حول التغيرات في وجهات نظر الشخصيات أكثر من تركيزها على الأفعال. مثل الأطفال

الآخرين، تربى 7-2521 -استخدمت الأرقام عوضاً عن الأسماء في عالم هذه الرواية- في بيت جماعي. كان «ملعوناً» بكونه فضولياً تجاه الأشياء وسريع التعلم. يحلم بأن يصبح باحثاً ولكنه يعين كئاساً للشارع، الأمر الذي يعتبره عقاباً على جراته.

يقع في حب فتاة يدعوها «الذهبية». ثم يجد طرقاً معدنية في نفق يعود إلى «العصور محرمة الذكر» الغابرة. ثم يطلق عنان عقله كثير التساؤلات، فيستخدم هذا المخبأ لإجراء تجارب علمية ويكتشف الكهرباء والضوء الصناعي. فيقرر إخبار الباحثين، ولكنهم يقولون إن هذا الاختراع يجب تدميره: إذ سيفسد عمل وزارة الشموع. فيهرب إلى الغابة المجهولة، حيث تجده الذهبية بعد بحث. ويجدان منزلاً من العصور محرمة الذكر. وهناك يقرأ كتاباً من المكتبة ويكتشف كلمة «أنا». فيمنحان بعضهما اسمين - ويضعان خططاً لمستقبل يمكن للناس فيه، كما حدث معهما، أن يستعيدوا فردانيتهم.

بناء الشخصيات. يكتشف صاحب الشخصية الرئيسية في القصة، واسمه 7-2521، فردانيته مع شخصية أخرى ومن خلالها، وهي الذهبية. يحاكي هذا البناء للشخصية صورة كيرا وبدايات شخصية ليو في نحن الأحياء. كانت أولى محاولات راند لكتابة شخصية إنسان مثالي شخصيةً أنثوية، ولكن في رواية نشيد تقود الأحداث شخصية ذكرية. تتمسك قلة فقط في نشيد، باستثناء الباحثين، بالمركزية والوضع الراهن غير العقلاني.

الأسلوب. كُتِبَ الكتاب بأسلوب مذكرة سرية. ويسمح هذا لنا بالولوج إلى أفكار بطل الرواية وهو يصارع عدم قدرته على الانصياع للدولة الجمعية، وينازع لفهم مفهوم الفردية والخيارات العميقة التي ينضوي عليها هذا المفهوم.

تتشابه رواية نشيد أيضاً مع رواية روسية صادرة عام 1921، نحن، لكتبتها يفجيني زمياتن، ورواية عالم جديد شجاع لألدوس هكسلي. في كتاب هكسلي، يربى الأطفال أيضاً تربيةً جمعيةً ويعينون في وظائف. ينفى الفرداني الوحيد، وهو غريب يدعى «الهمجي»، وينتحر في النهاية. ولكن رواية هكسلي رواية وفرة مخطط لها. فهو متفائل من حيث التكنولوجيا ومتشائم في الآفاق الإنسانية. أما راند فتتوقع على النقيض من ذلك الفقر الجمعي. ولكن في عالمها على الأقل أملاً بالخلاص البشري.

المنبع

كانت /المنبع المنشورة عام 1943 رواية راند التي حققت لها الشهرة. فإضافةً إلى جعلها مشهورة، أكدت على موقعها ككاتبة رائدة في الفردانية، وتبوأ مكانها بين أكثر الكتب مبيعاً، ومنحتها (إلى جانب فيلم عام 1949) أماناً مالياً.

المبحث. /المبحث، وفق راند، تناول الفردية مقابل الجمعية – لا في السياسة، بل فيما يتعلق بالروح البشرية. بالتأكيد، وعلى عكس نحن الأحياء، لا ذكر لعلوم السياسة ولا الاقتصاد في الكتاب: فكله عن وقوف رجل مبدع أمام نظام يشجع على التوسط دون إبداع.

الموضوع. الموضوع هو المعركة القائمة على النزاهة والصدق فيما يبينه البشر. وميدان المعركة فن العمارة، والبطل الذي يقود النزال معماري يافع نافذ البصيرة، ورائد للحدثة العقلانية، اسمه هاوارد رورك.

الحبكة. تبدأ **الحبكة** بطرد رورك من كلية العمارة لانحرافه عن المدرسة التقليدية. بينما يحصل زميله الطالب المطواع بيتر كيتينغ على عمل في السباكة لدى شركة رائدة، ويطري الرئيس، غاي فرانكون، فيصبح شريكاً.

يبدأ رورك في النهاية عمله الخاص، ولكن أبنيته سابقة لأوانها ويضطر إلى العمل في تكسير الأحجار لتأمين احتياجاته المالية. فيلتقي فبابة فرانكون، دومينيك، التي تحتقر أيضاً التوسط المحيط بها. ويتشاركان علاقة جنسية وفكرية عميقة. يبدأ رورك بالتدريج باكتساب الزبائن، ولكن هذا يستفز الصحفي البارز إلسورث توهي في صحيفة بانر، وهو اشتراكي يكره فردية رورك، فيصمم دعوى قضائية، ويخسرهما رورك.

تتزوج دومينيك، غير القادرة على إيجاد السعادة في عالم لا يقدر رورك، من كيتينغ، ولكن غايل وايناند، صاحب صحيفة بانر المثيرة للجدل، يولع بها فيدفع لكيتينغ لقاء الطلاق منها، ويتزوجها هو. وبينما يبحث عن تأسيس منزل يؤويهما معاً، يكتشف أن كل بناء يعجبه من تصميم رورك. فيصبح عميل رورك وصديقه.

ولكن كيتينغ أصبح يحتاج مشروعاً كبيراً لإنقاذ مسيرته المهنية الآيلة للفشل. فيقنع رورك بالتعاون في مشروع سكني كبير، اسمه كورتلاندت. يوافق رورك، بشرط بنائه بالكامل وفق تصميمه الراديكالي. وعندما يكتشف رورك لاحقاً أن نزاهة

كورتلاندت حطمت بإضافة مزايا تقليدية، يفجره بالديناميت. فيؤجج توهي ومجلة بانر نيران الغضب العام.

في محاكمته، يروي رورك المحكمة بصيغة مقنعة اعتماد إبداعه على تقدير الذات والاستقلال. فيبراً من التهم بشكل مثير. ويستوعب وايناند أن اللجوء إلى الغوغاء كان خطأً: فقد نجح رورك رغماً عنهم. وتترك دومينيك، بعد أن أدركت أن الانتصار على التوسط أمر ممكن، وايناند لأجل رورك. ولكن وايناند مع ذلك يطلب منه تصميم ناطحة سحاب ضخمة. وتنتهي الرواية بمشهد بطولي، يعتلي فيه رورك ودومينيك بناء الناطحة.

بناء الشخصيات. يتمحور بناء الشخصيات حول خمس شخصيات رئيسية. البطل، هاوارد رورك، ويمثل الفردانية الإبداعية في وجه الجمعية: ويرى أن الفن الصافي ثمرة عمل عقل فردي، ولا يمكن للجان والمجالس إبداعه. بيتر كيتينغ هو النقيض، فهو ما تسميه راند «المجتر»، إذ يفتقر للاستقلال ويحصل على معتقداته وقيمه من الآخرين. ولا ينجح سوى من خلال الانتهازية والمحسوبية. لديه بعض القدرات ولكنه يسعى للثراء. يتزوج دومينيك لترقية نفسه، لا لأجل الحب؛ وتتصاعد مسيرته المهنية وتهبط بسيرورة متغيرة. وتحتقر البطلة، دومينيك فرانكون، وسطية شركة والدها المفتقرة إلى الإبداع. ولا تجد لها مثيلاً سوى رورك، ولكن توهي نزع عنه مصداقيته. فتشرع، خائبة الأمل، بحياة ملؤها البؤس وجلد الذات.

نهض غايل وايناند من فقر الطفولة ليسيطر على صحيفة كبرى. وهو قوي فكرياً، مثل رورك، ولكن نجاحه آت من الانصياع للرأي العام – وهو الذي يقضي عليه في النهاية، ليخسر كل شيء، بما فيه دومينيك. إلسوورث توهي هو تجسيد راند

للشر. فهو يدعو للجمعية والاشتراكية بعزم وتصميم. ويحاول، لكره تحقيق الآخرين للعظمة، أن يدمر اعتزاز الفرديين أمثال رورك بذواتهم. يقول إنه يدعم الجموع، ولكن هدفه الحقيقي التسلط على الآخرين.

الأسلوب. المنبع رواية رومانسية فلسفية، مكتوبة بأسلوب مباشر يعزز رسالتها العقلانية. تمثل الشخصيات فيها وجهات نظر مختلفة عن العالم، وهم يلقون خطابات فلسفية تفسر توجهاتهم في مراحل معينة.

لاقت الرواية انتقادات كثيرة من المراجعين الأمريكيين غير المعتادين على هذه المقاربة. اعتبروا الشخصيات مسطحة وحيدة البعد تنطق بلسان الكاتبة، وأنها شخصيات غير قابلة للتصديق، مشتكين بأن الأشخاص الحقيقيين لن يعبروا عن دوافعهم الشريرة بصراحة كما يفعل توهي، ولا سيتباهون بفوائد المساومة على المبادئ بكل طمأنينة كما يفعل كيتينغ. من الناحية الأخرى، فقد قدر المراجعون الفردية البطولية لهاوارد رورك، التي كانت نادرة في الأدب المعاصر، وما تزال كذلك.

يقرأ العديد من الناس المنبع بعد قراءة حينما هز أطلس كتفيه ويرونها من خلال نافذة الكتاب الأخير. وهذا مؤسف؛ فمع أن موضوعها أكثر محدودية، فإن المحتوى الأخلاقي كله موجود. ورواية المنبع تستحضر قيم وفضائل راند الأساسية – المنطق، والغاية، وتقدير الذات، والاستقلال، والنزاهة، والصدق، والعدالة، والإنتاجية، والفخر.

حينما هز أطلس كتفيه

كتاب حينما هز أطلس كتفيه الصادر عام 1957 هو الذي يجذب معظم الناس إلى أفكار راند. لقد كان تناقضاً بشكل مثير مع المزاج الجمعي السائد في ذلك الوقت. ولكن بعد أن اجتذبت أتباعاً كثيرين من رواية المنبع، لم تجد مشكلةً في نشره، وقد علا في قوائم الأكثر مبيعاً. ويبقى التأثير حتى يومنا.

المبحث. مبحث الرواية دور العقل كأداة البقاء الوحيدة لدى البشرية. ومن المباحث الفرعية أخلاقية الاهتمام العقلاني بالمصلحة الذاتية – الأنانية الأخلاقية.

الموضوع. موضوع الكتاب كيفية عيش معظم العالم عن طريق استغلال الأفراد القلة المبدعين الذين يعتمد عليهم بقاء البشر وكيفية استحالة الحياة دون عقول هؤلاء الأفراد ومنطقهم.

الحبكة. حينما هز أطلس كتفيه كتاب طويل، وهناك العديد من التعقيدات والحبكات الثانوية فيه، ولكن الحبكة العريضة بسيطة جداً. فبعد أن أرهقهم الاستغلال والذم، يضرب أصحاب أكثر العقول إبداعاً في العالم – من مهندسين ومخترعين وعلماء وأكاديميين – عن العمل. وعقب حرمان العالم من إبداعهم ومعارفهم، ينهار اقتصاده.

تقاتل البطلة، داغني تاغارت، للإبقاء على شركة سكك حديدية تملكها عائلتها ولتحسينها. ولكن أخاها جيمس يقاومها، فهو يفضل إبرام صفقات مريحة مع المقربين غير الأكفاء واستخدام التأثير السياسي للتصدي للمنافسين. فتتعاون مع هانك ريردن، وهو مفكر مستقل آخر اكتشف معدناً ثورياً جديداً يمكنه إنقاذ السكك الحديدية. ثم يقعان في الحب.

ولكن آمالهما تثبطها حقيقة اختفاء الأشخاص الذين يعتمدان عليهم. ومن هؤلاء أفضل مهندسي السكك الحديدية والعميل الأكبر، إليس وايات، الذي امتاز بطريقة لاستخراج النفط من الصخر الزيتي ولكنه أضرم النار ببساطة في آباره ورحل. وقد أوصل عميل آخر، فرانشييسكو دانكونيا، عمله للإفلاس بشكل غير مفسر، وكاد بذلك يهوي بسكك داغني الحديدية معه.

في المصنع المهجور لشركة محركات القرن العشرين السابقة، يكتشف داغني وهانك بواقي نوع جديد كلياً من المحركات يمكنه إحداث ثورة في النقل والصناعة، ولكنه مدمر. تحاول داغني دونما فائدة أن تتتبع المخترع، ولكن يريدن يواجه المصادرة القسرية لمعدنه من قبل الحكومة والقوانين التي تجبره على فض شركته.

تتبع داغني في النهاية الرجل الذي تعتقد أنه وراء اختفاء العديد من المنتجين الرئيسيين وتتبعه لموقعه السري. ويتضح أنه جون غالت - وهو أيضاً مخترع المحرك. وقد أخفى مخبأه السري باختراع آخر من اختراعاته. تقع داغني في حب غالت ولكنها تعود إلى منزلها، إذ ليست بعد مستعدة لهجر العالم الذي رفضه غالت ووايات ودانكونيا. وتكتشف أن الحكومة، في مواجهة فوضى اقتصادية تزداد سوءاً، تخطط لتأميم السكك الحديدية والاستيلاء على مصانع الصلب والصناعات الأخرى.

تستمر الفوضى الاقتصادية، ويتحضر رئيس الدولة لمخاطبة الأمة. ولكن صوت جون غالت يقاطع البث، فيخاطب الأمة عوضاً عنه. ويشرح أن الذين يعيشون بعقلهم مضربون الآن، مبرراً ذلك بعرض مطول لمبادئ موضوعية. ويقول إنهم لن يعودوا حتى يعترف المجتمع بحقوقهم في عيش حيواتهم الخاصة والاستمتاع بثمرات جهودهم.

عندما يقبض على غالت ويوشك على الخضوع للتعذيب من قبل نظام حكم الطفيليين، تنضم داغني أخيراً إلى صفوف المضربين. فتهرب هي وغالت ويعودان إلى المخبأ. ينهار النظام في النهاية، ويستطيع الذين يعيشون بعقولهم أن يعودوا أخيراً.

بناء الشخصيات. داغني تاغارت مهندسة موهوبة وسيدة أعمال طموحها أن تبني وتدير سكة حديدية ممتازة. هانك ريردن مخترع عبقرى وعالم معادن ينتج معدناً جديداً ثورياً. وإليس وايات، كذلك، منقب مستقل التفكير عن النفط، وهو أيضاً عالم مميز في الجيولوجيا والكيمياء. فرانثيسكو دانكونيا مخترع مبدع، ورجل أعمال، ومفكر. (وهو الذي يعطي الرواية عنوانها، قائلاً إنه، بالنظر إلى الوضع الراهن للعالم، ينصح العملاق الخرافي أطلس، الذي يحمل العالم على كتفيه، أن يهز كتفيه). وإليس جون غالت مجرد مهندس، ولكنه عالم ومخترع وفيلسوف.

توضح الحبكة وهذه الشخصيات وجهة نظر راند في أن التقدم البشري يعتمد على الاختراعات والكشوف العلمية، والتي تتطلب بدورها المعرفة، والعقل، والفكر.

يواجه أبطال القصة هؤلاء مصفوفة متنوعة من الخصوم. فهناك ليليان زوجة ريردن، التي تقلل من شأنه باستمرار؛ والرأسمالي صاحب المحسوبيات أورين بويل، منافس ريردن؛ وفلويد فيريس، وهو عالم تابع للدولة يؤكد أن العلم يظهر أن الناس يجب أن يحكموا بالقوة؛ ود. روبرت ستادلر، الذي يسمح باستغلال اكتشافاته العبقرية، وسمعته، من قبل حكومة طغيانية؛ وويسلي ماوتش، وهو عضو جماعة ضغط خائن يتحول إلى مخطط مركزي. تعرض هذه الشخصيات الطرق العديدة التي يمكن إفساد العقل والفكر من خلالها.

الأسلوب. كسابقيه، يعد هذا الكتاب رواية رومنسية فلسفية، ولكن فيه عناصر قصة ملحمية. هناك تنوع أكبر في الشخصيات، وخصوصاً الخصوم في الرواية. وكما في المنبع، فإن عشق البطلة معقد ولكن يقوده العقل، لا القلب وحده.

ليس خصوم رواية حينما هز *أطلس* كتفيه مبدعين ولا منتجين، لذا يعيشون حياتهم من خلال سرقة أولئك أو امتصاص دمائهم. ولكن هذا يتطلب استخدام القوة، التي لا تتسق مع المنطق – أداة البشر الأساسية للبقاء. وما إن يدمروا أو يضيعوا المفكرين، فهم لا يستطيعون التحمل. تخبرنا راند أن تطبيق المنطق العقلاني هو السبب الوحيد لإحداث التطورات التي نحتاجها لتشكيل العالم وفق احتياجاتنا – سواء كانت هذه التطورات معادن، أو هندسة، أو تكنولوجيات استخراج ومعالجة كالتي تطرحها الرواية، أو زراعة، أو طباً، أو الكثير من التطورات الأخرى.

تكتشف العقول المبدعة معرفةً جديدةً تحسن حياتنا وتمكننا من البقاء. وتقود اكتشافاتهم التقدم. يظهر إضراب غالت أن عقولاً كهذه لا يمكن أن تعمل تحت الإكراه: بل يجب أن تكون حرةً لخلق أفكار جديدة وتقنيات حديثة. تظهر رواية حينما هز *أطلس* كتفيه أن حرية الأفراد في التصرف بشكل مستقل مصيرية للبشرية كافة.

يشكل انحدار شركة محركات القرن العشرين، الذي يرويهِ في الرواية موظف سابق في الشركة تلتقي به داغني خلال بحثها عن مخترع المحرك الثوري، مثالاً قوياً يوضح آراء راند حول شرور الإيثار والمساواة. كانت الشركة، كما يروي لنا، شركة ناجحةً حتى أعطاهها ورثة المؤسس مبادئ جديدة: على كل موظف أن يعمل وفق قدرته ويستفيد حسب احتياجاته.

ولكن أثر ذلك أنه كلما عمل الناس بجد أكبر، كان يتوقع منهم أن يعملوا أكثر ليدفعوا ثمن عشاء زملائهم «الأقل قدرة»، أو لمداداة أبنائهم المصابين بالحصبة، وعمليات زوجاتهم، وتعليم أبناء إخوتهم ... دون أن ينالوا شيئاً لقاء ذلك. ولكن من الذي سيحدد «الحاجات» الفعلية للأشخاص؟ سيارة؟ يخت؟ ومن سيقيس «قدرات» الأشخاص؟ انتهى الأمر إلى تحديد ذلك من خلال الأصوات في اجتماعات عامة.

وفي تلك الاجتماعات، كما يستذكر الموظف السابق، استوعب العمال أنهم أصبحوا متسولين جميعاً. إذ لم يكن لأي أن يطالب بمكافآت ما لم تكن «احتياجاته» أكبر من احتياجات الآخرين جميعهم. لذا أصبحت الاجتماعات مسابقات تسول، بينما كانت إنتاجية الشركة تنحدر: من إذن سيعمل وقتاً إضافياً لتعويض النقص؟ بالطبع، كان عبء ذلك يقع على عاتق الذين حكم عليهم بأنهم «أكثر قدرة». كانت النتيجة أن الجميع تمهل، وعزم على أن يكون أقل إنتاجية من الجميع، حتى لا يستدعى. لم يقتل ذلك الشركة وحسب، بل دمر أيضاً حياة الذين عملوا فيها وتقديرهم لذاتهم.

وهذا، حسب ما تقوله راند لنا، منطق الأيديولوجية الجمعية.

نهج راند الفلسفي

تشكو راند من رأي الفلسفة الحديثة القائل إن الواقع إما يتعذر بلوغه، أو لا يمكن معرفته، أو أنه وهم. دون ثوابت لإرشادهم، ينجرف الناس إلى اللادرية والروحانيات والانغماس في الملذات. إن ثقافتنا الحديثة عديمة الجذور هي برهان وافٍ للحقيقة.

لكن بديل راند يترك العديد من النقاد غير مرتاحين. فقد أشاروا إلى أن أفكارها، باستثناء مقدمة في نظرية المعرفة الموضوعية -أطروحة قصيرة حول تكوين المفهوم- وردت فقط في مقالات وخطب عامة لم تكن قوية التفاصيل أو الحجج المضادة أو الأدلة. فلو كانت فيلسوفة مختصة في إحدى الجامعات، لربما اختبرت أفكارها في أتون النقاش الأكاديمي. ولكن بدلاً من ذلك، حسب رأي النقاد، انغمست عصبية من المعجبين في آرائها وعززت وجهات نظرها.

يشكو النقاد أيضاً من مبالغة راند في تبسيط الأمور. فحقيقة أن المشككين يظنون أنه لا توجد حقائق موضوعية لإرشادهم لا تعني أن تكون كل أفعالهم مسألة نزوة تعسفية بالضرورة، كما تقترح راند. قد يتصرفون بشكل متسق تماماً، وبطرق مبدئية، بناءً على أفضل تخميناتهم حول كيفية سير العالم. وبالمثل، نادراً ما تكون الخيارات الأخلاقية التي نواجهها مسألة حياة أو موت. فمعظمها ضعيف الصلة الواضحة بالنجاة: إنها أشياء مثل الكذب من أجل تجنب طلب غير مرحب به أو إعادة الأموال التي أسقطها شخص غريب.

بالإضافة إلى ذلك، عزف العديد من القراء عن مبالغة راند (مثلاً، «المستنقع هو الفلسفة الحديثة: المطهر هو العقل») وقدحها (خصوصاً ضد كانط، الذي تلومه على كل الشرور تقريباً، بما فيها الفن الحديث). إنها فظة حتى تجاه أولئك الذين يتفقون معها عموماً في قضايا مهمة (مثل آدم سميث في الرأسمالية، وحتى كانط في الإرادة حرة).

يقول النقاد إن راند تفترض أسوأ الدوافع لدى خصومها، واصفةً إياهم بالضعفاء، أو المخدوعين، أو غير العقلانيين أو غير الأخلاقيين. فتكتب أن مجتمعات الإيثار مصممة بواسطة «طفيليين، ومتسولين، ونهابين، ومتوحشين وبلطجية» ولأجلهم – صيغة لا يرجح أن تستميل المشككين الذين يعتقدون أن دوافعهم فاضلة.

راند في الواقع والمعرفة

تبني راند نظرتها للواقع والمعرفة على أساس منطقي، قوامه حقيقة أن الأشياء موجودة، وأن وجودها مستقل عنا، وأننا نستطيع معرفتها وفهمها. تخبرنا أدمغتنا أن الأشياء موجودة، ولكن لا يمكننا معرفة ماهيتها إلا باختيار تطبيق منطقتنا. وبإنشاء مفاهيم تجمع الأشياء حسب أوجه التشابه والاختلاف بينها، يمكننا فهم عالمنا. لكن يجب أن تكون مفاهيم جيدة، متجذرة في الواقع ويمكن الوصول إليها بأساليب موضوعية. يجب أن نحترس من أن نكون ذاتيين – أي تعسفيين وفق راند. أ هو أ: الشيء هو ما هو عليه.

مع أن نظرية المعرفة هذه، المستندة إلى تقليد طويل يعود إلى أرسطو، ينبغي أن تؤخذ على محمل الجد، فإن العديد من النقاد يعترضون عليها. يشير البعض،

مثلاً، إلى أن مفاهيم راند من بنى العقل البشري. لكن هل العقل البشري أداة موثوقة لهذه الوظيفة؟ فإنه نفسه، كنتاج للتطور، من تشكيل العالم وجزء منه. كيف يمكن أن يرتفع فوق الواقع ويعطينا نظرة موضوعية لشيء هو جزء منه؟

يشكك نقاد آخرون في أن وجهة نظر راند تستند بإحكام إلى «مسلماتها» الأساسية الثلاث – أن الأشياء موجودة، وأننا ندركها، وأن لها طبيعة أو هوية محددة. يعتبر البعض هذه المسلمات المفترضة خاطئة: فقد نحيا في عالم الأحلام حيث لا يوجد شيء. ويعترض آخرون على أن المسلمات مبتذلة لدرجة أنه يمكن بناء أي شيء تقريباً عليها: إذ يقبلها معظم الناس في أثناء توصلهم إلى استنتاجات مختلفة تماماً. ويقولون، ليس مقنعاً لRAND أن تجادل بأنه لا يمكنك تحدي مسلماتها لأنك تحتاج إلى قبول أن الأشياء موجودة ولها هوية من أجل بناء حجة بأنها ليست كذلك: مرةً أخرى، قد نحيا في عالم متسق ذاتياً ولكنه وهمي. قد يبدو هذا مستبعداً، لكنه يوضح على الأقل أن هناك تفسيراً مختلفاً لتجاربنا ممكن نظرياً.

علاوةً على ذلك، فإن شعار وجود/الوجود لا يهزم الذاتيين، الذين نادراً ما ينكرون الوجود تماماً. بل، يؤكدون أنه ليس لدينا وصول موضوعي إلى العالم، لذا فإن «معرفتنا» بالوجود واهية. كل ما نملكه هو النظريات العاملة – التخمينات – التي يجب أن نتخلى عنها عندما يتعارض دليل جديد معها، مهما كانت راسخة. تقبل راند بالطبع أننا غير معصومين من الخطأ وقد نشكل مفاهيم يثبت خطأها. إذن، إن أمكن إبطال أي مفهوم بأفكار أو أدلة جديدة، فكيف تكون «معرفتھا» أكثر صلابة من نظريات المشككين؟

فضلاً على ذلك، تقرر راند أنه مع ابتعاد مفاهيمنا أكثر فأكثر عن الإدراك الحسي الخام، يصعب التأكد من صلاحيتها - رغم إيمانها بإمكانية الاعتماد عليها، بتتبعها بجدية حتى الإدراك الحسي، والتحقق منها منطقياً للتأكد من الاتساق وعدم التناقض. لكن يزعم النقاد بأن المفاهيم والعلاقات المجردة للغاية - مثل الاقتصاد - تنطوي ببساطة على معلومات كثيرة يتعذر على أي عقل بشري التعامل معها. إن المعرفة الموثوقة حول هذه الأشياء ليست صعبة فحسب، بل مستحيلة. وافتقارنا الحتمي للمعرفة هو سبب فشل محاولات إعادة تصميم المجتمع أو التخطيط للاقتصاد دوماً. فهناك حدود لما يمكننا تحقيقه من طريق العقل.

راند في الأخلاق

تستند أفكار راند الأخلاقية والسياسية إلى ما تعتبره طبيعة الأشياء الموضوعية. يمكننا استنتاج طبيعة الأفعال الصحيحة ابتداءً من الطبيعة البشرية نفسها. فالأخلاق تستند إلى الحقائق، وليس المشاعر: الأخلاق موضوعية.

مرة أخرى، تعد هذه الفكرة القائلة إننا نستطيع إرساء المبادئ الأخلاقية على الحقائق الموضوعية للطبيعة البشرية فكرة عميقة، رغم أن النقاد يشككون إن كانت راند أظهرت حقاً كيف يمكننا الانتقال منطقياً من ما هو لإظهار ما يجب أن يكون - سؤال (إنه-يجب) الشهير الذي استعصى على الفلاسفة لقرون عديدة.

جوابها هو أن القيمة موجودة لغرض ما. إنها تخدم حاجة عميقة فينا - الحاجة إلى الحفاظ على الذات. إن امتلاك القيم هو ما يبقينا أحياء. فما يخدم حياتنا

جيد؛ وما يعيقها سيء. لذا انسوا المشاعر، أو الرأي، أو التقاليد أو إملأءات السلطات. المعيار الوحيد للحكم على القيمة الأخلاقية للفعل هو تأثيرها في البقاء.

لكن بقاء من؟ تتحدث راند عن «حياة الناس»، لكن يزعم النقاد أن «الناس» قد تعني أشياء عديدة: جنسنا البشري، أو البشرية عمومًا، أو الأفراد الذين يشكلون الجنس البشري، أو أي فرد بشري. يبدو بقاء الإنسان مقبولا تمامًا كمعيار أخلاقي لكيفية تصرف كل منا. لكن راند تخطى مخطئًا، كما يقول النقاد، بين بقاء الإنسان وبقاء الفرد الذي يقوم بالفعل – وقد قادها ذلك إلى ترويج الأنوية التي لا يقبل معظم الناس كونها أخلاقية.

يتساءل النقاد أيضًا إن كانت راند قد فهمت على نحو صحيح الطبيعة البشرية التي استندت إليها أخلاقها الفردية وسياستها. يقولون إننا نوع اجتماعي، وتشير الأبحاث الأخيرة المتعلقة بالمجتمعات الحيوانية وعلم الوراثة إلى أن بقاء المجموعة هو المهم، وليس الفرد. لذلك يجب ألا نتفاجأ إن كنا مبرمجين على التصرف بإيثار، وحتى التضحية بأنفسنا، من أجل المصلحة العامة – كما تفعل العديد من أنواع الحيوانات الأخرى. في الواقع، نظرًا إلى أننا نتشارك جميعًا في الجينات الوراثية مع أفراد جنسنا البشري الآخرين، فإن ما يبدو لفرد ما إيثارًا أو تضحية بالنفس، قد يعزز في الواقع بقاء الجينات المشتركة بيننا. وعليه، تغدو راند مخطئة في إدانتها أفعال التضحية بالنفس الظاهرية، التي تعزز في الواقع جوهر الفرد ذاته – وهذا ما خفي عنها.

لكن كيف نعرف ما يعزز الحياة على أي حال؟ قد يستغرق الأمر الكثير من الوقت والخبرة لاكتشاف ما يحسن بقائنا أو يضره، وربما الخلاف حقيقي حول هذا.

استمر الاتحاد السوفيتي، الذي اعتقدت راند أنه ضار للغاية، عقوداً من الزمن وما يزال أنصاره كثيرين. و نتذكر أيضاً، كما يقول النقاد، أن الناس في دول الرفاهية اليوم يعيشون فترة أطول من أي وقت مضى. ووفقاً لمعايير البقاء الخاصة براند، يبدو أن المجتمعات وأنماط الحياة التي تحتقرها باعتبارها طفيلية تبلي بلاءً حسناً.

راند في السياسة

إن فلسفة راند السياسية مبتكرة مثل أخلاقياتها. فتقول إن الحقوق الفردية التي تحد من العملية السياسية وتضمن حريتنا تستند إلى معرفتنا بالعالم والطبيعة البشرية والمبادئ الأخلاقية. إنها تنبع مباشرة مما يخدم البقاء.

لكن يقول المعارضون إن إرساء الحقوق على البقاء يشير إلى أن الحقوق لا قيمة لها في حد ذاتها وفائدتها هي مبررها الوحيد. ولكن، كما تزعم راند نفسها، يحق لنا التصرف كما نختار: فهي تعتقد، مثلاً، أن تعاطي المخدرات وإباحتها ليسا مفيدين - في الواقع، إنهما مدمران - ولكن ما يزال يحق لنا فعلهما. إذن ما الصحيح؟ تزعم راند طبعاً أن الحق في تجربة أنماط حياة مختلفة - من أي نوع - يملك في حد ذاته قيمة بقاء. لكن يعتقد العديد من الأخلاقيين أنه يستحسن إنقاذ الناس من إيذاء أنفسهم (كمنعهم من التدخين أو تناول الأطعمة الدسمة أو إجبارهم على الدفع للتأمين الصحي أو خطط التقاعد). ما الأدلة الموجودة لتبرير أي من الرأيين باعتباره تعزيزاً أفضل للبقاء؟ وكيف يمكننا أن نقرر بعقلانية من صاحب الحق؟

يقول منتقدو راند المحافظون، مؤكدين على حدود العقل البشري هذه، إنها سريعة جداً في رفض الدين والتقاليد باعتبارهما عديماً القيمة. رغم كل شيء، لقد

أوصلونا حتى هذا الحد. وهذا لأنهما، كما يقول المحافظون، يشتملان على حكمة مكتسبة – معرفة كيف يجب أن نتصرف، معرفة اختُبرت وبُنيت على مر القرون وجُسدت في قواعد لا يجب أن نفكر فيها أو نفهمها حتى – لكنها رغم ذلك تعزز بقاءنا وبقاء جنسنا البشري. نحن نتجاهل هذه السلطات التي يُفترض أنها «غير عقلانية» على مسؤوليتنا.

لنفكر في كل تلك الأعمال الصغيرة من العرف، والكرام، والتسامح، والكرم، والعطاء والأخذ، ورؤية الأشياء من وجهة نظر الآخرين، وتلك التضحيات الذاتية البسيطة التي تعزز الثقة والتعاون المتبادلين، وعليه تفيدنا جميعاً. ليس مقنعاً القول إن التوفيق بين كل هذا والأنوية ممكن، لأننا نعلم تحديداً أننا سنستفيد من المجتمع الموثوق الذي تخلقه. نحن نفعل ذلك بشكل طبيعي، وليس لأننا يجب أن نفكر فيه. وهذه هي طبيعتنا الحقيقية، وليس «المنطق» غير المتجسد. قد يكون الإيثار، كما يقول نقاد راند، تطور معنا، كجزء من طبيعتنا، لأنه في الواقع يعزز رفاهية مجموعتنا – بطريقة لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نفهمها بعقلانية.

راند في الرأسمالية

مرة أخرى، يعد دفاع راند عن الرأسمالية مبتكراً مثل أخلاقياتها وسياستها. إذ تقول إن الرأسمالية نظام /اجتماعي – شكل من أشكال المجتمع لا يقدر الأشياء المادية فحسب، بل يقدر الفن والأدب والأشياء الأخرى غير المادية أيضاً.

والرأسمالية ليست مجرد شيء يمكن إجازته باعتباره «شراً لا بد منه» لأنها تنتج ثروة مادية. بل على العكس، تصر راند على أنها النظام الاجتماعي /الأخلاقي

الوحيد، والنظام الوحيد غير المبني على الإكراه. في الرأسمالية، تُكتسب الثروة بخدمة الآخرين، لا بنهبهم. فالمصلحة الذاتية الرأسمالية والربح ليسا شروراً؛ إنهما ما يدفعنا للتفوق وإفادة الآخرين. تقود المنافسة أيضاً عملية التعلم المستمر التي تعتمد عليها حياة الإنسان – عملية تعلم كيفية إنشاء قيمة أكبر بتكلفة أقل.

تُنتقد الرأسمالية مثلما يُنتقد تفسير راند لها. إذ يقول النقاد، بدايةً، إن الرأسمالية تمنحنا حرية التجارة بالسلع التي تضر بنا – مثل التبغ. فما مدى توافق ذلك مع مستوى الحياة المطلق لRAND؟

ومرةً أخرى، يقولون إن راند تبدو محتارةً فيما إن كان يجب دعم الرأسمالية لأنها في حد ذاتها نظام أخلاقي أو لأنها تنتج أفضل النتائج. إنها تعطي اعتباراً كبيراً للنتائج في الحكم على الأنظمة السياسية والاقتصادية – وخصوصاً، تسليط الضوء على تفوق أمريكا الاقتصادي على الاتحاد السوفيتي. لكن يتطلب الأمر سلسلة طويلة من الأدلة والحجج لنقلنا من القيم الأخلاقية العقلانية، عبر الإجراءات الفردية، ثم عبر المؤسسات الاجتماعية، إلى مثل هذه النتائج الاقتصادية المطلقة. قد تستحق الحرية الفردية الدفاع عنها كقيمة، لكن هل يمكن لأي شخص أن يضمن فعلياً أنها ستنتج مجتمعاً جيداً ومزدهراً؟

راند في الفن والأدب

تعد جماليات راند ابتكاراً آخر وطريقة مفيدة محتملة لتثمين الفن. تقول إن الفن الحقيقي يعطي المفاهيم المهمة والمجردة شكلاً مادياً يسمح لنا بالتفكير فيها مباشرةً. لكن إسرافها في مدح الرومانسية، مع استبعاد جميع الحركات الأخرى الممكنة

يقوض، في نظر النقاد، إصرارها على الهدف العقلاني للفن والأدب - دون ذكر مدحها لأفلام الإثارة الإجرامية الأمريكية لميكي سبيلان، التي قل تصنيفها على أنها فن.

تقول راند إن الدعاية لا يمكن أن تكون فناً، لكن النقاد يشيرون إلى عدم وجود حد واضح بين الدعاية ونوع التعليم الأخلاقي الذي تعتقد أن الفن قادر على توفيره. وفي الواقع، يبدو كل من التصوير، والنحت، والموسيقى والعمارة السوفيتية والنازية متوافقاً تماماً مع مبادئها التوجيهية.

قد تكون البطولة ملهمة، وقد يكون للرومانسية مكانتها، كما يقول المعارضون، لكن اتباع نظام غير منقطع من أي منهما سيضجرنا سريعاً. فالفن والأدب اللذان يظهران كيف يحل البشر غير *الكاملين* مشاكلهم (دون أن ينجحوا دائماً) ربما يتسمان بصفة تعليمية أيضاً - وربما أكثر ملائمة وجاذبية.

خيال راند

نادراً ما تتأثر الثقافات السياسية بالروايات، رغم أن راند نجحت في ذلك. وتماشياً مع مبادئها الجمالية، تعتبر رواياتها رومانسية. إنها تظهر الأفراد كأبطال، أو مشاريع أبطال. وتعد رؤيتها لما يمكن أن تحققه الأعمال التجارية والمنشآت والحرية إيجابية وملهمة.

قالت راند إنها ابتكرت فلسفتها من أجل كتابة الروايات، لكن رواياتها تبدو بالتأكيد أشبه بوسائل لفلسفتها. يقول النقاد إن هذا يفسر العديد من عيوبها كأدب. إن حكاياتها غير محتملة. وتلقي الشخصيات خطباً طويلة جداً لشرح وجهات نظرها

(كان خطاب جون غالت سيستمر ثلاث ساعات، في حين أصبح خطاب هوارد رورك في قاعة المحكمة أطول خطاب في تاريخ سينما هوليوود). في نقاط أخرى أيضاً، لا تبدو الشخصيات أكثر من مجرد أبواق لوجهات نظر كاريكاتورية، وتكون غالباً شريرة أو بطولية على نحو سخي. قليلون هم، إن وجدوا، الرماديون أخلاقياً. في الواقع، قالت راند إنها لم تستطع أبداً كتابة قصص بوليسية لأن الناس سيكتشفون الأخطاء والأشياء فوراً.

فيما يتعلق بالأسلوب، اشتكى المراجعون من طول كتب راند والتكرار في حوارها - الذي يقولون إنه بالأحرى «يساري الفكر»: تخبرنا راند بما يجب علينا فعله بالأشياء بدلاً من إظهارها لنا وجعلنا نكتشف ذلك. إن نبرتها غير لائقة: فالخصوم لصوص، أو طفيليون، أو متملقون، أو أوغاد؛ والأبطال أقوياء وحازمون وأصحاب مبدأ.

تصور روايات راند العالم على أنه مدفوع بواسطة عدد صغير من المبدعين المحاطين بحشد من العاديين عديمي الأهداف المدعومين بسلطة الدولة. لكن هل هذه صورة عادلة؟ هل المنشآت والاختراعات تعمل في الواقع على هذا النحو؟ فحتى المنتجات التي يُفترض أنها «تقدم»، كما يقول المعارضون، تكون عادةً نتيجة لعملية تحسين مجزأة، تنطوي على عمل وأفكار الكثيرين.

قد تكون روايات راند، كما يقول النقاد، كتباً رديئة ومثقلة للإثارة وقوادة لشديدي التأثير، وخاصة الشباب، الذين يبحثون عن «الإجابة» لمشاكل الحياة. ربما يكون الأمر كذلك، لكنها تظل رغم ذلك تتمتع بشعبية ملحوظة - ومؤثرة للغاية.

إرث آين راند

مساهمة راند الفكرية

بغض النظر عما يقوله النقاد عن أسلوب راند في سرد قصصها، فإن قراء رواياتها يعرفون أنهم يحصلون على أكثر من مجرد قصة. ويحصلون أيضاً على رؤية مختلفة جذرياً للعالم، بأفكار جديدة عن الحياة، والأخلاق الشخصية، والسياسة، والاقتصاد – وكل ذلك مبني، كما تصر راند، على أقوى القواعد، أسس العقل.

لا يوجد نقص في القواعد الأخلاقية والرؤى السياسية المتجذرة في السلطة المفترضة للمعتقدات الدينية، أو في التقاليد أو الديمقراطية، أو في الموافقة العامة للجمهور، أو في كلام من هم في السلطة. لكن يتلخص كل هذا في مسألة الرأي: لا يوجد سبب موضوعي لتفضيل أحدها على الآخر. وبالعكس، تصر راند، صواباً أو خطأً، على أن استنتاجاتها متجذرة في الحقائق الثابتة للواقع: يمكننا امتلاك معرفة أخلاقية، تماماً كما نمتلك معرفة علمية، إذا استخدمنا طرقاً موضوعية. وإن اختيارها لتقديم هذه الأفكار عن طريق الخيال يجعلها أكثر إلحاحاً وإقناعاً من أي عدد من المقالات الأكاديمية.

تجذب راند القراء أيضاً بالقوة التي تدافع بها عن نهجها والاستنتاجات المترتبة عليه – بغض النظر عن مدى انعدام شعبية تلك الاستنتاجات. تخبرنا، مثلاً، كيف أن الإيثار غير أخلاقي – لأنه يجعل النجاح شر والكسل فضيلة، ولأنه مدمر ومعادٍ للحياة. إضافة إلى ذلك، تؤكد بفعالية على العكس: أن الأنوية أو المصلحة الذاتية العقلانية حق أخلاقي، تقلل من شر الإكراه، وتنتج أفضل النتائج لنا جميعاً. ولإثارة حماس القراء أكثر، تسمي ذلك «فضيلة الأثرة».

وبالقوة نفسها، تؤكد وجود حقائق سياسية واقتصادية أيضاً، يمكن استخلاصها جميعاً من حقائق الواقع والأخلاق. تشرح كيف أن النظام السياسي القائم على الحقوق الفردية جيد في حد ذاته، ويقلل من الإكراه، وينتج (بالصدفة ولكن لحسن الحظ) السلام والوفرة. إن جدالها في الحرية مبتكر للغاية: البشر مخلوقات عقلانية، ويجب أن تتفاعل عقولنا مع العالم إن أردنا فهمه وتحسينه، وعليه فإن الحرية ضرورية لحياة الإنسان. وكذلك الخاصة: حتى نزهة، يجب أن نكون قادرين على التمتع بالمكافآت الناتجة عن استخدام عقولنا.

يعزز خيال راند، في المقام الأول، الحس البطولي في قرائها. فإن كنت تملك التركيز واحترام الذات، كما تقترح، يمكنك تغيير العالم. لكن احترام الذات يمكن أن يُبنى فقط على الصفات الأخلاقية الحقيقية والشخصية الحقيقية. لذا تحت على الاعتماد على الذات، واغتنام الفرص بدلاً من المطالبة بالأمن، وعدم مقايضة حريتك أو كرامتك لأي شخص، والدفاع بغيرة عن إنجازاتك وثمار جهدك العقلي والبدني، وعدم طلب خدمة أو توقع تقديم تضحيات، واحترام حق الآخرين في العيش بالطريقة نفسها. إنها رؤية بطولية حفزت الكثير من القراء وغيرت حياة الكثيرين.

مخالفة توافق الآراء

مثل كل من يسعى إلى الجدل، تجذب راند العديد من المتابعين، لكنها تخلق أعداءً آخرين. ليس محتوى آرائها فقط ما يجده البعض صادمًا، بل أيضاً الطريقة التي تعبر بها عنها. فمهما كثرت وجهات النظر حول قضية ما، يقول النقاد، فإنها تعتبر واحدة فقط صحيحةً والبقية خاطئة. فالتسوية غير مقبولة. إن عدم اليقين «ثورة

ضد العقل»، في حين تعد «الرمادية الأخلاقية» «ثورة ضد القيم الأخلاقية» و«مطلقية الواقع».

هذه المطلقية تجعل الكثيرين يشبهون آراء راند بالدين أكثر من كونها فلسفية. وقد عزز بعض أتباعها هذا الانطباع، إذ يتحدثون ظاهرياً كما لو أن أساليبها تكشف حقائق أكيدة، دون أي احتمال للخطأ. لكن عندما تزعم الأديان والأيديولوجيات والسلطات وحتى العلوم والفلسفات أنها تملك حقيقة معينة، تكون النتيجة غالباً قمعاً ومأساة، فمن يستطيع أن يرفض ما هو حق وخير إلا أولئك غير العقلانيين أو الأشرار؟

كانت راند ذات شخصية حازمة وجذابة للغاية. لكن انتقاد نظرتها للعالم لا يعني انتقاداً شخصياً لها – والعكس صحيح. وانتقاد جزء من نظامها ليس بالضرورة هجوماً عليه بأكمله، بغض النظر عن مدى سلاسته المفترضة. إذا نظرنا إلى ما هو أبعد من جاذبيتها والحماس الذي ألهمته في كل من المؤيدين والنقاد، سنجد الكثير في راند مما هو جديد ومهم وعميق وجدير بالنقاش.

هل يهز أطلس كتفيه؟

على أي حال، برز تأثير راند الرئيسي في السياسة والاقتصاد، لا في الفلسفة. كان غرضها من حينها هز أطلس كتفيه من أن يصبح تنبؤياً. لكن الحالة الراهنة للعالم تكاد تبدو أبعد من الخيال. توجد الآن نسخ لجميع اللوائح السخيفة والمضرة المشار إليها في الرواية في العديد من البلدان. قد تكون ملكية الدولة أقل رواجاً، لكن

ملكية الدولة غير ضرورية عندما تستطيع الدولة السيطرة على المنشآت من طريق الإعانات، والضرائب، واللوائح والتهديدات.

إن التضخم الهائل للتدخل في الاقتصادات المتقدمة يعزز وجهة نظر راند بوجود مشكلة فلسفية، وليس مشكلة اقتصادية فحسب. أصبحنا نقبل أن الحد الوحيد لسلطة الدولة هو ما تقرره الأغلبية. وذلك لأن الناس والسياسيين لا يفهمون دور الدولة المحدد والمحدود للغاية، ولا الطبيعة القسرية لحكم الأغلبية، ولا كيف يقوض إكراه الدولة الحقوق الأساسية لجميع الأقليات.

ربما يكون نقص الفهم هذا هو سبب تحول الكثير من الموصوف في حينما هز أطلس كتفيه إلى واقع. فالضوابط تخنق الرأسمالية والمنشآت. والاقتصاد المختلط تحول إلى «رأسمالية المحسوبية» حيث تقوم الشركات ومجموعات المصالح بحملات من أجل الخدمات التنظيمية والإعانات المأخوذة بالقوة من دافعي الضرائب. ورغم أن الشركات حرة اسمياً ومملوكة للقطاع الخاص، لكنها مقيدة وتديرها الدولة.

إن حلول راند جذرية. فهي ترفض بشدة أي استخدام للقوة القسرية وتدافع عن الحرية الأخلاقية والسياسية والاقتصادية. فلسفتها ليست مختلقة/تبرير هذه السياسات. بالأحرى، إن استنتاجاتها تنجم عن فلسفتها. إنها تركز على تكوين الثروة لأنها، كما تعتقد، الطريقة الوحيدة التي يمكن للبشر، بطبيعتهم، أن يزدهروا بها.

يتخيل كتاب حينما هز أطلس كتفيه مرحلة يُضرب فيها صانعو الثروة وأصحاب العقول المستقلة الآخرون الذين يحملون العالم على أكتافهم ويتركون العالم. لكن لا تظهر إشارات على هز أطلس كتفيه بعد. ربما جرى أيضاً استيعاب

العقول المبدعة في الثقافة الأخلاقية والسياسية السائدة. وربما احتاجت هي نفسها إلى الفلسفة.

تخبرنا راند أننا بفهم الثقافة الفلسفية السائدة نستطيع مكافحتها وتعديلها. يمكن للأفراد حقاً تغيير مجرى التاريخ. ربما ليس بالضبط كما ورد في حينما هز *أطلس كتفيه* – الذي اعترفت بأنه خيال وليس نبوءة. لكن الأفراد قادرون على تغيير الأحداث تغييراً عميقاً ودائماً.

عن نفسها

أسعى إلى تزويد الرجال -أو أولئك المهتمين بالتفكير- بنظرة متكاملة ومتسقة وعقلانية للحياة.

مقابلة بلاي بوي مع آين راند

لست شجاعةً كفايةً لأكون جبانة. إنني أرى العواقب بوضوح شديد.

عند الإشادة بشجاعته في محاربة المؤسسة الحاكمة: اقتبسها
ليونارد بيكوف في الموضوعية: فلسفة آين راند

عن الواقع والمعرفة

تبدأ [الموضوعية] بالمسلمة القائلة بأن الوجود موجود، التي تعني وجود واقع موضوعي مستقل عن أي مدرك أو عن عواطف المدرك، أو مشاعره، أو رغباته، أو آماله أو مخاوفه. ترى الموضوعية أن العقل هو وسيلة الرجل الوحيدة لإدراك الواقع ودليله الوحيد للعمل. وأعني بالعقل، القدرة التي تحدد وتكامل المواد التي توفرها حواس الرجل.

مقابلة بلاي بوي مع آين راند

عن استخدام العقل

هل تعلم أن حملتي الشخصية في الحياة (بالمعنى الفلسفي) لا تتمثل في محاربة
الجماعية فحسب، ولا في محاربة الإيثار؟ فتلك مجرد عواقب وتأثيرات وليست
أسباب. إنني ألاحق السبب الحقيقي، الجذر الحقيقي للشر على الأرض - اللاعقلانية.

رسائل آين راند، مقتبسة في كتاب

جينيفر بيرنز، إلهة السوق: آين راند واليمين

الأمريكي

في حين تنجو الحيوانات بتكييف نفسها مع خلفيتها، ينجو الرجل بتكييف خلفيته
مع نفسه.

من أجل مفكر جديد

كلما اعتقدت أنك تواجه تناقضات، تحقق من مقدماتك المنطقية. ستجد أحدها
خاطئة.

حينما هز أطلس كتفيه

لكل قضية جانبان: أحدهما صحيح والآخر خاطئ، ولكن لا توجد إلا فكرة شريرة
واحدة: رفض التفكير.

حينما هز أطلس كتفيه

الوسطية شر دائماً.

حينما هز أطلس كتفيه

عن الأخلاق

تحتاج كل جوانب الثقافة الغربية إلى مدونة أخلاقيات جديدة -أخلاقيات عقلانية- كشرط مسبق للنهضة.

«ما هي الرومانسية؟» في البيان الرومانسي

كل ما ينتج عن أنا الرجل المستقلة خير. وكل ما ينتج عن اعتماد الرجل على الرجال شر.

المنبع

في القيمة

تعلم أن تقدر نفسك، ما يعني: حارب من أجل سعادتك.

من أجل مفكر جديد

الرجل الذي لا يقدر نفسه لا يقدر أي شيء أو أي شخص.

فضيلة الأثرة

عن الإيثار

حيثما توجد تضحيات، يوجد من يجمع القرايين. وحيثما توجد خدمة، يوجد من يُخدم. الرجل الذي يكلمك عن التضحية يتحدث عن العبيد والسادة، ويعتزم أن يكون السيد.

المنبع

تكمن الوحشية الأخلاقية لكل مذاهب المتعة والإيثار في المقدمة المنطقية القائلة بأن سعادة رجل تستلزم إيذاء رجل آخر.

فضيلة الأثرة

الغرض من الأخلاق هو تعليمك، لا أن تعاني وتموت، بل أن تستمتع وتعيش.

حينما هز أطلس كتفيه

لا يعتبر موتك حمايةً لما تقدره تضحيةً بالنفس: فإن كانت تلك القيمة عظيمة كفايةً، فلن يعينك الوجود من دونها.

مقابلة بلاي بوي مع آين راند

عن المصلحة الذاتية/الأنوية

أقسم، بحياتي وحيي لها، أنني لن أعيش أبداً من أجل رجل آخر، ولن أطلب من أي رجل آخر أن يعيش من أجلي.

حينما هز أطلس كتفيه

الفرداني هو الرجل القائل: لن أدير حياة أي شخص - ولن أسمح لأحد بإدارة حياتي. لن أحكم ولن أُحكم. لن أكون سيّداً ولا عبداً. لن أضحي بنفسي لأي شخص - ولن أضحي بأحد لنفسي.

كتاب في الأميركانية

سأختار الأصدقاء من الرجال، وليس العبيد ولا السادة. وسأختار من يروقون لي، سأحبهم وأحترمهم، لكن لن آمرهم ولا أطيعهم. وسنتحد عندما نشاء، أو نفترق عندما نرغب.

ترتيلة

الأثرة لا تعني القيام بأشياء لصالح الذات فحسب. يمكن للمرء أن يفعل أشياء، تؤثر على الآخرين، من أجل سعادته ومنفعته. وهذا ليس غير أخلاقي، بل إنه أسمى الأخلاق.

مذكرات آين راند

عن الفضائل

لدى البناء نزاهة مثل الرجل تمامًا. وبنفس الندرة.

المنبع

الرجل بلا غاية هو رجل منجرف تحت رحمة مشاعر عشوائية أو دوافع مجهولة، وقادر على ارتكاب أي شر، لأن حياته خارجة تمامًا عن سيطرته. لكي تتحكم في حياتك، يجب أن يكون لديك غاية - غاية نافعة.

مقابلة بلاي بوي مع آين راند

إن فضيلة العقلانية تعني الاعتراف بالعقل وقبوله كمصدر وحيد للمعرفة، وكحكم وحيد على القيم ودليل وحيد للعمل... إنها تعني قبول المرء لمسؤولية تكوين قراراته

الخاصة والعيش وفقاً لطريقة تفكيره (وهي فضيلة الاستقلال). هذا يعني أنه لا يجوز لأحد أن يضحي بقناعاته مقابل آراء أو رغبات الآخرين أبداً (وهي فضيلة النزاهة) - ويجب ألا يحاول أبداً تزييف الواقع بأي طريقة (وهي فضيلة الصدق) - ويجب ألا يلتبس أبداً أو يمنح غير المكتسب وغير المستحق، لا مادياً ولا معنوياً (وهي فضيلة العدل).

«الأخلاق الموضوعية» في فضيلة الأثرة

عن السعادة

مذهب اللذة هو مذهب يرى أن الخير يتمثل في كل ما يمنحك المتعة، وبالتالي، فإن المتعة هي معيار الأخلاق. بينما ترى الموضوعية أنه يجب تحديد الخير وفق معيار عقلاني للقيمة.

مقابلة بلاي بوي مع آين راند

إن تحقيق سعادتك هو الغاية الأخلاقية الوحيدة لحياتك، وإن السعادة، وليس الألم أو الانغماس الذاتي الطائش، هي الدليل على نزاهتك الأخلاقية، لأنها دليل على ولائك لتحقيق قيمك ونتيجة له.

من أجل مفكر جديد

السعادة هي حالة من الوعي تنجم عن تحقيق الفرد لقيمه.

حينما هز أطلس كتفيه

عن العاطفة

لا تخبرك مشاعرك تشعر شيئاً عن الحقائق؛ لا تخبرك إلا بشيء عن تقديرك للحقائق. فالعواطف هي نتيجة أحكام القيمة؛ أنها ناجمة عن مبادئ الأخلاقية الأساسية، التي قد تحملها بوعي أو دون وعي، والتي قد تكون صحيحة أو خاطئة. مقابلة بلاي بوي مع آين راند

عن السياسة والاقتصاد

عن الحقوق الفردية

الحقوق الفردية هي وسيلة لإخضاع المجتمع للقانون الأخلاقي.

فضيلة الأثرة

لا تخضع الحقوق الفردية للتصويت العام؛ فلا يحق للأغلبية التصويت على حقوق الأقلية؛ إن المهمة السياسية للحقوق تحديداً هي حماية الأقليات من اضطهاد الأغلبية (وأصغر أقلية على وجه الأرض هي الفرد).

فضيلة الأثرة

لا يمكن انتهاك حقوق الرجل إلا باستخدام القوة البدنية. فلا يمكن لرجل أن يحرّم رجل آخر من حياته، أو يستعبده، أو يسرقه، أو يمنعه من السعي وراء أهدافه، أو يجبره على التصرف ضد حكمه العقلاني إلا بواسطة القوة البدنية.

فضيلة الأثرة

أي مجموعة أو جماعة، كبيرة كانت أم صغيرة، هي عدد من الأفراد فحسب. ولا يمكن أن يكون للمجموعة حقوق بخلاف حقوق أعضائها الأفراد.

فضيلة الأثرة

الجريمة هي انتهاك حق (حقوق) الرجال الآخرين بالقوة (أو الاحتيال). فمجرد الشروع في استخدام القوة البدنية ضد الآخرين -أي اللجوء إلى العنف- يصنف على أنه جريمة في مجتمع حر (تميزاً له عن الخطأ المدني). لكن الأفكار، في مجتمع حر، ليست جريمة - ولا يمكن استخدامها كمبرر للجريمة.

اليسار الجديد

لا تشرع أبداً في استخدام القوة ضد رجل آخر. ولا تدع استخدامه للقوة ضدك يبقى دون رد بالقوة.

مذكرات آين راند

لاحظ أن مصطلح التطرف، في السياسة، أصبح مرادفاً للشر، بغض النظر عن محتوى القضية (لا يتعلق الشر فيما أنت متطرف بشأنه، بل في كونك متطرفاً - أي متمسكاً بالمبادئ).

فضيلة الأثرة

لا تتعلق الحقوق بالأرقام - ولا يمكن أن يكون هناك شيء من هذا القبيل، في القانون أو في الأخلاق، كأفعال محظورة على الفرد، ولكن مسموح بها للحشد.

الرأسمالية: المثل الأعلى المجهولة

عن حقوق الملكية والإبداع

مثلاً أنه لا يمكن أن يعيش الرجل دون جسده، لا يمكن أن توجد حقوق دون الحق في ترجمة حقوق الفرد إلى واقع، للتفكير والعمل والاحتفاظ بالنتائج، ما يعني: حق الملكية.

حينما هز أطلس كتفيه

الحاجة الأساسية للمبدع هي الاستقلال. لا يمكن للعقل المنطقي أن يعمل تحت أي شكل من أشكال القسر. لا يمكن كبه أو التضحية به أو إخضاعه لأي اعتبار بتاتا. إنه يتطلب استقلالاً تاماً في الوظيفة وفي الدافع. بالنسبة للمبدع، تعد كل أنواع العلاقات مع الرجال ثانوية.

المنبع

يهتم المبدع بغزو الطبيعة. ويهتم الطفيلي بغزو الرجال.

المنبع

لا تدع أي رجل يتظاهر بأنه من دعاة السلام إن كان يطرح أو يدعم أي نظام اجتماعي يبادر إلى استخدام القوة ضد الأفراد، بأي شكل من الأشكال.

من أجل مفكر جديد

عن دور الدولة

يحتمل أن تكون الحكومة هي التهديد الأخطر لحقوق الرجل: فهي تحتكر قانونياً استخدام القوة البدنية ضد الضحايا منزوعي السلاح بموجب القانون.

فضيلة الأثرة

لا توجد سوى طريقتين لتعامل الرجال مع بعضهم: السلاح أو المنطق. القوة أو الإقناع. فدائماً ما يلجأ أولئك الذين يعرفون أنهم لا يستطيعون الفوز بالمنطق إلى الأسلحة.

الفلسفة: من الذي يحتاج إليها

المهام الوحيدة المناسبة للحكومة هي: الشرطة، لحمايتك من المجرمين؛ الجيش لحمايتك من الغزاة الأجانب؛ والمحاكم لحماية ممتلكاتك وعقودك من الخرق أو الاحتيال من قبل الآخرين، وتسوية المنازعات بقواعد عقلانية، وفق قانون موضوعي.

حينما هز أطلس كتفيه

الولايات المتحدة الأمريكية هي أعظم وأنبى دولة، وهي، بمبادئها التأسيسية الأصلية، البلد الأخلاقي الوحيد في تاريخ العالم.

الفلسفة: من الذي يحتاج إليها

إننا نقرب بسرعة من مرحلة الانقلاب النهائي: المرحلة التي تتمتع فيها الحكومة بحرية فعل أي شيء تشاء، بينما لا يجوز للمواطنين التصرف إلا بإذن؛ وهذه المرحلة هي أحلك فترات التاريخ البشري، مرحلة الحكم بالقوة الغاشمة.

الرأسمالية: المثل الأعلى المجهولة

ليس فقط مكتب البريد، يجب أن تكون الشوارع والطرق والمدارس، قبل كل شيء، مملوكة ملكية خاصة ومدارة بشكل خاص. أنا أؤيد الفصل بين الدولة والاقتصاد. يجب أن تهتم الحكومة بالقضايا التي تنطوي على استخدام القوة فقط. وهذا يعني: الشرطة، والقوات المسلحة، والمحاكم القانونية للفصل في الخلافات بين الرجال. لا شيء آخر.

مقابلة بلاي بوي مع آين راند

عن الرأسمالية

العقل الحر والاقتصاد الحر هما نتيجتان طبيعيتان. لا يمكن لأحدهما الوجود دون الآخر. إن علامة الدولار، باعتبارها رمز لعملة بلد حر، هي رمز العقل الحر.

مقابلة بلاي بوي مع آين راند

الثروة هي نتاج قدرة الرجل على التفكير.

من أجل مفكر جديد

من أصغر ضرورة حتى أعلى تجريد ديني، ومن العجلة حتى ناطحة السحاب، كل ما نحن عليه وكل ما نملك يأتي من سمة واحدة للرجل - وظيفة عقله المنطقي.

المنبع

كانت الرأسمالية النظام الوحيد في التاريخ الذي لم تُكتسب فيه الثروة بالنهب، بل بالإنتاج، ولم تكتسب بالقوة، بل بواسطة التجارة، وهي النظام الوحيد الذي دافع عن حق الرجل في عقله، وعمله، وحياته، وسعادته ونفسه.

الرأسمالية: المثل الأعلى المجهولة

في المجتمع الرأسمالي، كل العلاقات الإنسانية طوعية. فالرجال أحرار في التعاون أو عدم التعاون، والتعامل مع بعضهم البعض أو عدمه، كما تملي أحكامهم وقناعاتهم ومصالحهم الفردية.

الرأسمالية: المثل الأعلى المجهولة

تحدد القيمة الاقتصادية لعمل الرجل، في السوق الحرة، بمبدأ واحد: بالموافقة الطوعية لأولئك الذين يرغبون في مقايضة عملهم أو منتجاتهم معه.

الرأسمالية: المثل الأعلى المجهولة

تمارس السلطة الاقتصادية بطرق إيجابية، بمنح الرجال مكافأة، أو حافزاً، أو مدفوعات، أو قيمة؛ في حين تمارس السلطة السياسية بطرق سلبية، بالتهديد بالعقاب، والأذى، والسجن، والتدمير. أداة رجل الأعمال هي القيم؛ وأداة البيروقراطي هي التخويف.

الرأسمالية: المثل الأعلى المجهولة

ما لدينا اليوم ليس مجتمعاً رأسمالياً، بل اقتصاد مختلط - أي مزيج من الحريات والضوابط، والذي يتجه، وفقاً للاتجاه السائد حالياً، نحو الديكتاتورية. تجري الأحداث في حينما هز أطلس كتفيه في زمن يصل فيه المجتمع إلى مرحلة

الديكتاتورية. عندما يحدث ذلك وإن حدث، فسيكون ذلك وقت الإضراب، ولكن ليس قبله.

مقابلة بلاي بوي مع آين راند

عن المال

لو طلبت مني ذكر أكثر ميزات الأمريكيين فخراً، فسأختار... حقيقة أنهم الأشخاص الذين ابتكروا العبارة لكسب المال. لم تستخدم أي لغة أو أمة أخرى هذه الكلمات من قبل... كان الأمريكيون أول من فهم أن الثروة يجب أن تخلق.

حينما هز أطلس كتفيه

إذن تعتقد أن المال هو أصل كل الشر؟ هل تساءلت يوماً عمّ هو أصل المال؟ إن المال أداة للتبادل، لا يمكن أن توجد ما لم توجد سلع منتجة ورجال قادرين على إنتاجها. المال هو الشكل المادي للمبدأ القائل إن الرجال الراغبين في التعامل مع بعضهم البعض يجب أن يتعاملوا بواسطة التجارة ويعطوا قيمة مقابل القيمة. المال ليس أداة المحتالين، الذين يطالبون بمنتجك بالدموع أو اللصوص، الذين يأخذونه منك بالقوة. لقد أصبح المال ممكناً بفضل الرجال المنتجين فحسب. أهذا ما تعتبره شراً؟

حينما هز أطلس كتفيه

دعوني أعطكم تلميحاً عن دليلٍ إلى شخصيات الرجال: الرجل الذي يلعن المال قد حصل عليه بطريقة مخزية؛ والرجل الذي يحترمه قد كسبه. انج بحياتك من أي رجل يخبرك أن المال شر. فهذه الجملة هي جرس المجذوم لسارق يقترب. طالما أن

الرجال يعيشون معاً على الأرض ويحتاجون إلى وسائل للتعامل مع بعضهم البعض - فإن بديلهم الوحيد، إن تخلوا عن المال، هو كمامة البندقية.

حينما هز أطلس كتفيه

كان الذهب قيمة موضوعية، ومكافئاً لثروة منتجة. في حين أصبح السند رهن على ثروة غير موجودة، مدعوماً بسلاح يستهدف أولئك الذين يتوقع أن ينتجوها.

حينما هز أطلس كتفيه

عن الازدهار

لم تنشأ الوفرة في أمريكا من التضحيات العامة من أجل الصالح العام، بل بفضل العبقرية المنتجة للرجال الأحرار الذين سعوا وراء مصالحهم الشخصية وصنعوا ثرواتهم الخاصة. لم يجوعوا الناس لدفع تكاليف التصنيع في أمريكا. لقد منحوا الناس وظائف أفضل وأجوراً أعلى وسلعاً أرخص مع كل آلة جديدة اخترعوها، ومع كل اكتشاف علمي أو تقدم تكنولوجي - وبالتالي كانت الدولة بأكملها تتقدم وتربح، ولم تعان، في كل خطوة على الطريق.

الرأسمالية: المثل الأعلى المجهولة

لم يثبت أي نظام سياسي-اقتصادي في التاريخ قيمته ببلاغة أو أفاد البشرية بعظمة مثل الرأسمالية.

الرأسمالية: المثل الأعلى المجهولة

عندما أقول رأسمالية، أعني رأسمالية كاملة ونقية وغير خاضعة للرقابة وغير منظمة وقائمة على عدم التدخل - مع فصل الدولة عن الاقتصاد، بنفس الطريقة ولنفس أسباب فصل الدولة عن الكنيسة.

فضيلة الأثرة

يتكون كل تدخل حكومي في الاقتصاد من إعطاء منفعة غير مكتسبة، منتزعة بالقوة، لبعض الرجال على حساب الآخرين.

الرأسمالية: المثل الأعلى المجهولة

عن الجماليات

يعد أفق نيويورك نصبًا تذكاريًا لروعة لا تكافئه أي أهرامات أو قصور أو تقترب منه.

فضيلة الأثرة

الفن هو إسقاط لرؤية الفنان الأساسية عن الرجل والوجود. ولأن معظم الفنانين لا يطورون فلسفة مستقلة خاصة بهم، فإنهم يستوعبون، بوعي أو بغير وعي، التأثيرات الفلسفية السائدة في عصرهم. معظم أدب اليوم هو انعكاس صادق لفلسفة اليوم - فلتنظر إليه!

مقابلة بلاي بوي مع آين راند

عن البطولة

لا تدع شعلتك تنطفئ، أشعلها بشرارة فريدة في مستنقعات النقصان، والتأجيل،
والنفى اليائسة. لا تدع البطل بداخلك يهلك في إحباط وحيد من أجل الحياة التي
تستحقها ولم تتمكن من تحقيقها. يمكنك الفوز بالعالم الذي ترغب به. إنه
موجود... إنه حقيقي... إنه ممكن... إنه ملكك.

حينما هز أطلس كتفيه

لقد بدأت حياتي بمطلق وحيد: أن العالم كان ملكي لتشكيله على صورة أعلى قيمي
ولن أتنازل إلى معيار أدنى، بغض النظر عن طول الصراع أو صعوبته.

حينما هز أطلس كتفيه

إن دافع كتابتي وهدفي منها هو وضع إسقاط لرجل مثالي. وتصوير مثل أعلى
أخلاقي، باعتباره هدفي الأدبي النهائي، وباعتباره غاية في حد ذاته - تكون جميع
القيم التعليمية أو الفكرية أو الفلسفية الواردة في الرواية وسائل لها. إن هدفي
وقضيتي الأولى ومحركي الرئيسي هو تصوير هوارد رورك، أو جون غالت، أو
هانك ريدين، أو فرانسيسكو دي أنكونيا كغاية في حد ذاتهم - وليس كوسيلة لأي
غاية أخرى.

البيان الرومانسي

اقتباسات عن راند

المغالطة في الموضوعية هي الاعتقاد بأنه يمكن بلوغ المعرفة المطلقة والحقائق
النهائية عن طريق العقل، وبالتالي يمكن أن تكون هناك معرفة مطلقة صحيحة

وخاطئة، وفكر وعمل مطلق أخلاقي وغير أخلاقي. بالنسبة إلى الموضوعيين، إن اكتشاف صحة مبدأ عن طريق العقل، هو نهاية النقاش. إذا كنت لا توافق على المبدأ، فإن تفكيرك معيب. وإن كان تفكيرك معيباً، يمكن تصحيحه، ولكن إن لم يصحح، فستظل معيباً ولن تنتمي إلى المجموعة. فالطرد هو الخطوة الأخيرة لمثل هؤلاء الزنادقة غير المصلحين.

مايكل شيرمر، «العبادة الأكثر استبعاداً في التاريخ»، المتشكك.

كانت مفكرة أصيلة بالكامل، تحليلية بشدة، قوية الإرادة، وصاحبة مبدأ للغاية، وشديدة الإصرار على العقلانية باعتبارها أعلى قيمة.

آلان غرينسبان، عصر الاضطراب

كيف نقرأ لآين راند

يبدأ معظم الأشخاص بروايات راند الأخيرة، *المنبع* أو *حينما هز أطلس كتفيه*. لا تتناول *المنبع* مبادئها السياسية أو الاقتصادية إطلاقاً، ولكنها تعد مثلاً جيداً عن نظامها الأخلاقي. وتقدم صورة واضحة لمفهومها عن الإنسان المثالي - وللفضائل التي تتمسك بها، مثل النزاهة والصدق وتقدير الذات.

في حين تعتبر *حينما هز أطلس كتفيه* أطول وأوضح شرحاً لنظرتها للعالم، التي ضُمنت في خطابات الشخصيات (الطويلة غالباً). فوفقاً لراند، يمثل خطاب جون غالت «فلسفة الموضوعية»، مع أن طوله الكبير يدفع بعض القراء إلى تخطيه. وبينما تغطي الخطابات الأخرى أجزاءً مختلفة من تفكير راند، لكنها لا تكشفها بطريقة منهجية سهلة.

لذا قد يكون من الأفضل للقارئ أن يبدأ ببعض مقالات وخطب راند على الأقل، والمتوفرة بسهولة في مجموعات مواضيعية مثل *من أجل مفكر جديد* (التي تتضمن بياناً طويلاً عن فلسفتها ومقتطفات من رواياتها) أو *فضيلة الأنانية* (التي تركز على أخلاقية الأنوية). أما بالنسبة لمن يريدون معرفة المزيد عن تطبيق أفكار راند، فإن *الرأسمالية: المثل الأعلى المجهولة* (التي تركز على الحرية الاقتصادية) أو *الفلسفة: من الذي يحتاج إليها* (حول التفكير العقلاني وتطبيقاته) موضعان مفيدان للبدء. كل هذه المجموعات غير فنية في الغالب ويمكن قراءتها بسهولة.

لكن مقالات راند وخطبها كُتبت غالباً حول قضايا محددةً بذلك الوقت، وللتأثير الجدلي. وفي إطار هذا النتاج الكبير، غالباً ما تتكرر نقاطها أو يُعاد استخدامها بأشكال مختلفة. لذا، قد يصعب كل هذا رؤية النظام الفلسفي المتناسك خلفه. لكن يزعم المتحمسون لروايات راند أن روايتها تجذب القراء إلى فلسفتها. ويقولون إنها تقدم رؤيةً ملهمةً لكيف يجب أن يكون العالم، و«تجسد» (مستخدمين كلمة راند) فلسفتها بإظهار كيفية تطبيق مبادئها في المواقف العملية.

الأسلوب. يجد بعض القراء صعوبةً في قبول حقيقة أن إثارة الصدمة جزء من أسلوب راند. لكنها تعتقد أن الفلسفة والثقافة أصبحتا قانعتين ويجب إخراجهما من هذه الحالة. لذا تستخدم لغةً لازعةً ضد الذين تخالفهم الرأي، بمن فيهم معظم الشخصيات الرائدة في تاريخ الفلسفة. وتستخدم مصطلحات انفعالية (مثلاً، إن الفن الحديث عبارة عن «لطخات»، وأي شخص لا يستخدم العقل «متوحش»). يوجد عادةً فكر حاد خلف كل هذا، لكن لا يجد بعض القراء إلا الازدراء والمبالغة في تشتيت الانتباه.

هناك نقطة أسلوبية أخرى تصدم القارئ بغرابتها تتمثل في استخدام راند المستمر لكلمة «رجل». تبدو هذه الكلمة متحيزةً جنسياً اليوم، وقد كانت كذلك عند كتابتها، لأن استخدامها لها متسق للغاية لدرجة أنه يبدو متعمداً. ولكن هناك قضية أوسع، لأن كلمة «رجل» يمكن أن تعني فرداً أو شيئاً أوسع. وما ينطبق على أحدهم قد لا ينطبق على الآخر. فمن السهل رؤية الأخطاء التي قد تحدث، على غرار: «دجّن الرجل الحيوانات منذ 11,000 عام، جون رجل؛ إذن، دجّن جون الحيوانات منذ 11,000 عام».

أدلة قصيرة إلى راند

ترد فيما يلي مقدمات قصيرة مفيدة.

نيرا بادوار، «الموضوعية» في حجج مؤيدة للحرية (2016)، حررها آرون روس باول وغرانت بابكوك).

تقدم بادوار مقدمة قصيرة لفلسفة راند، وتظهر كيف أنها تخدم كحجة لنظام سياسي قائم على حرية الفرد.

نيرا بادوار ورودريك لونج، «آين راند» في موسوعة ستانفورد للفلسفة (2010)

تلخيص أكاديمي موجز لحياة راند، والميتافيزيقا، ونظرية المعرفة، والأخلاقيات، والفلسفة السياسية، والجماليات، بما فيها الببليوغرافيا، الخاصة بها.

أندرو برنستين، الموضوعية في درس واحد (2008)

تفترض هذه المقدمة القصيرة غير النقدية إلمام القراء بـ *هز أطلس* كتفيه والمنبع وتركز على فلسفة راند، وخاصةً نظامها الأخلاقي.

هاري بينسوانغر، معجم آين راند (1998)

شروحات من الألف إلى الياء للمصطلحات والمفاهيم الفردية في نتاج راند. توجد أيضاً نسخة مختصرة مفيدة على الإنترنت.

جيفري بريتينغ، آين راند (2004)

سيرة مصورة قصيرة تستند إلى مذكرات وأوراق راند، وتركز خصوصًا على تأثيراتها وترويجها الثابت للأفكار الموضوعية.

جيمس فيتز، كون آين راند: الدليل غير الرسمي إلى حياتها وكتبها وفلسفتها (2012)

دليل قصير وحيادي النبذة، وهو في الأساس دليل دراسة على الإنترنت، مقسم إلى أقسام قصيرة للغاية. يعتبر سيرة في الغالب، مع مواد أقل عن أفكارها. آلان غوتهلز، عن آين راند (2000)

ملخص قصير منظم جيدًا لفكر راند الفلسفي، مع اقتباسات مستفيضة من مقالاتها ورواياتها، ويتضمن سيرة مختصرة.

روايات راند الرئيسية

نحن الأحياء (1936)

رواية شبه سيرة ذاتية تدور أحداثها في روسيا ما بعد الثورة، حيث تخبو القيم، مع آثار مدمرة في الشخصيات الرئيسية.

نشيد (1938)

تدور الأحداث في مستقبل مظلم بائس حيث تقمع الفردية وتُخطط التكنولوجيا مركزيًا، لكن تجد الشخصيات الرئيسية الخلاص.

المنبع (1943)

قصة مهندس معماري عنيد يرفض المساومة على رؤيته ملخصاً وجهة نظر راند عن الرجل المثالي.

حينما هز أطلس كتفيه (1957)

تدور الأحداث في الولايات المتحدة البائسة حيث يتعثر رواد الأعمال المبدعون بسبب ثقافة النهب والسلب – إلى أن يقرروا الإضراب.

أعمال راند غير الروائية الرئيسية

من أجل مفكر جديد (1961)

ترى المقالة الأساسية أن تاريخ الفلسفة يشجع الروحانيات أو القوة إلى حد كبير، ولكن ليس العقل. ويتضمن مقتطفات من رواياتها حول مواضيع تشمل الاختراع، والإنجاز، والمال، والربح والطب الاجتماعي.

فضيلة الأنانية (1964)

مقالات لRAND وNATHANIEL BRANDEN عن أخلاقية الأنوية، وطبيعة الأنوية، وأخلاقيات الأعمال الخيرية، ومواضيع أخرى.

الرأسمالية: المثل الأعلى المجهولة (1966)

تركز على أخلاقية الرأسمالية، تحتوي أيضاً على مقالات من تأليف آلان غرينسبان وNATHANIEL BRANDEN. وتشمل مواضيعها اضطهاد الأعمال التجارية،

وقانون مكافحة الاحتكار، والذهب، وحقوق الملكية في طيف البث، وتمرد الطلاب وطبيعة الحقوق والحكومة.

البيان الرومانسي (1969)

عرض راند لفلسفة الفن وأسبابها لمناصرة الرومانسية.

اليسار الجديد: الثورة المناهضة للصناعة (1971)

نقد قوي لحركة اليسار الجديد في الستينيات والسبعينيات، المتمثلة في التسرب من المدرسة والمخدرات والثورة. تسلط راند الضوء على مؤسساتها المناهضة للنجاح والمناهضة للملكية. يضم مقالات عن كيفية تقييد التعليم التقدمي لعقول الأطفال وتشويهاها، وعن العنصرية والقومية.

مقدمة في نظرية المعرفة الموضوعية (1979)

تعد في الحقيقة أضيق نطاقاً مما يوحي به العنوان، تتناول هذه الرسالة نظرية تشكيل المفهوم لراند بالتفصيل. ولغتها فنية بعض الشيء.

مجموعات بعد وفاتها

الفلسفة: من الذي يحتاج إليها (1982)

تشرح هذه المقالات مدى أهمية وجود الفلسفة، وضرورة كونها واعية وعقلانية ومتسقة. وتوضح هذا بمقالات عن التعليم والأخلاق والسياسة والاقتصاد.

عودة البدايتة (1999)

نسخة موسعة من اليسار الجديد مع مقالات إضافية لبيتر شوارتز حول مواضيع مثل النسوية والتعددية الثقافية وحماية البيئة.

راند بكلماتها الخاصة

الفن الروائي: دليل للكتاب والقراء (2000)، حررها تور بوكمان

نصيحة موجزة للكتاب، جُمعت من محادثات راند، التي تستشهد فيها بالفضلين لديها فيكتور هوغو وميكي سبيلان، بالإضافة إلى أعمالها الخاصة.

الفن غير الروائي: دليل للكتاب والقراء (2001)، حررها روبرت مايهيو

تركز على المقالات الواقعية ذات الجذور الفلسفية، وتتحدث هذه المحاضرات عن تطوير الأسلوب وسيكولوجية الكتابة الواعية واللا واعية.

أجوبة آين راند: أفضل الأسئلة والأجوبة لها (2005)، حررها روبرت مايهيو

نصوص لمناقشات الجمهور مع آين راند حول مجموعة متنوعة من الموضوعات، بدءًا من الفن الحديث مرورًا بالعنصرية، والنسوية، والمخدرات، والانتحار، والليبراليين وغير ذلك.

مذكرات آين راند (1999)، حررها ديفيد هاريمان

تقدم هذه المذكرات نظرة في آراء راند حول حياتها في روسيا، ومسيرتها المهنية، وكيف ابتكرت رواياتها.

رسائل آين راند (1997)، حررها مايكل برلينر

مجموعة مختارة من مراسلات راند حسب ترتيب زمني عام، ولكن مع أقسام محددة لرسائلها إلى فرانك لويد رايت وإيزابيل باترسون وجون هوسبرز. *التحدث بموضوعية: مقابلة آين راند (2009)*، حررها بيتر شوارتز ومارلين بودريتشكي

نصوص لمقابلات من برامج تلفزيونية وإذاعية ومع أكاديميين وصحفيين، تركز على القضايا السياسية أكثر من فلسفتها. *مقابلة بلاي بوي (1964)*

تركز على الآثار العملية لنظرتها للعالم، وتقدم هذه المقابلة (مع ألفين توفلر) نظرة مفيدة حول تفكيرها.

كتب عن راند

باربرا براندن، *شغف آين راند (1998)*

وصف دقيق لشخصية راند وتعقيداتها بواسطة باربارا زوجة ناثنيل براندن، التي عرفت راند قرابة العشرين عامًا.

ناثنيل براندن، *يوم الحساب: سنواتي مع آين راند*

وصف غير إطرائي لراند من حبيبها وشريكها السابق.

جينيفر بيرنز، *إلهة السوق: آين راند واليمين الأمريكي (2009)*

سيرة نقدية لحياة راند ودورها في السياسة الأمريكية.

دوغلاس دين أول ودوغلاس راسموسن (محرران)، فكر آين راند الفلسفي (1984)

مجموعة من المقالات الأكاديمية لفلاسفة مختلفين، تنتقد أجزاء مختلفة من نظام راند، من وجهات نظر تعاطفية أو محايدة نسبياً غالباً.

آلان غوتهلغ وجيمس لينوكس (محرران)، المفاهيم ودورها في المعرفة (2013)

مقالات أكاديمية، مع تعليقات وردود، حول نظريات راند للإدراك وتكوين المفاهيم في العلوم.

آلان غوتهلغ وجيمس لينوكس (محرران)، الأخلاقيات الفوقية والأنوية والفضيلة (2010)

تبادلات بين المؤلفين الأكاديميين حول ميتافيزيقيا وأخلاقيات راند، تستكشف الروابط بينهما.

آلان غوتهلغ وغريغوري سالميري، كتاب مصاحب لآين راند (2015)

مراجعات علمية شاملة لنتاج راند، تشمل رواياتها، ومقالاتها، وخطبها وتأملاتها في الشؤون الجارية.

آن هيلر، آين راند والعالم الذي صنعه (2009)

سيرة استقصائية للصحفية آن هيلر تستند إلى بحث أصلي ومواد أرشيفية جديدة ومقابلات مع شركاء راند.

روبرت مايهيو، مقالات عن حينما هز أطلس كتفيه لآين راند (2009)؛ مقالات عن المنبع لآين راند (2006)؛ مقالات عن نحن الأحياء لآين راند (2012) مقالات عن نشيد لآين راند (2005)

مقالات علمية، لكن متاحة، وتعاطفية عن روايات راند، بما في ذلك نشرها وتلقيها.

سكوت ماكونيل، 100 صوت: تاريخ شفهي عن آين راند (2010)

مقابلات مع الأقارب والأصدقاء والزملاء.

ليونارد بيكوف الموضوعية: فلسفة آين راند (1993)

تلخيص منهجي وإطرائي لأفكار راند، ابتداءً من الواقع والمعرفة حتى الأخلاق والسياسة والاقتصاد. مكتوب بلغة فلسفية.

تارا سميث، قيم قابلة للتطبيق: دراسة للحياة كأصل الأخلاق ومكافأتها (2000)

بيان صارم وأكاديمي ولكن واضح عن «الأنوية المبدئية» للأخلاق الموضوعية ونقد المواقف البديلة.

تارا سميث، الأخلاق المعيارية لآين راند: الأناني الفاضل (2006)

دراسة أكاديمية مفصلة للفضائل الأساسية التي تعتقد راند أنها جوهرية لتحقيق الرفاهية الموضوعية.



